4 me Année, No. 132.

Lundi-13-1-1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع البدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــــدد ١٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٥٤ — ١٣ يناير سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

من أحاديث النيروز

كنا ليلة النيروز المسيحى[1] نَسْمر فى دار صديق؛ ولهذا الصديق زوجة من لوزان، دقيقة الفهم، رقيقة الشمائل، لطيفة التكوين؛ أغرمت بمصر وأخلاق أهلها اغراماً شديداً، فهى تحاول أن تتكلم العربية، وتؤثر أن تعيش على الأوضاع المصرية، وتتابع بالنظر العطوف نهضتنا الجاهدة، وتدافع بالحجة القارعة ما تفتريه علينا الألسن الأوربية الجاحدة، وتحب كلما حضرتُ مجلسها أن تناقلنى الأحاديث فى مصر والعرب والاسلام والشرق، وهى فى كل ذلك واسعة الاطلاع من طول ما تسافر ومن كثرة ما تقرأ

كان زوجها وفريق من المدعوين يلعبون الورق على المائدة المغربية، وكان فريق آخر يستمع إلى (الراديو) وهو يذيع الأناشيد الـكنسية المهللة، وأنا وهى على كرسيين متقابلين أمام المدفأة، نتجاذب على عادتنا أطراف الحديث المشقق، ونتصفح على طريقتنا أوجه الرأى المختلف، فأجد فى حديثها الشهى الممتع ما يجده ذلك الذى يلعب، وذاك الذى يشرب، وهذا الذى يسمع!

* * *

(١) النيروز هو اليوم الأول من السنة الشمسية

تناهزت النفوس الحبيبة لذة الصفو فى الساعات المودعة ، وتجاوبت فى البِيَع القريبة أصوات النواقيس المُرنِّة ، وتلاقت الحياة والموت فى قلب الليلة المخضرمة [1] ، وتهتكت سدول المهد المحجب عن العام الوليد ؛ فقالت لى ساعتئذ والرفاق يتبادلون المودة بالعيون ، ويتناقلون التهنئة بالشفاه :

انظر كيف يولد العام المسيحى فى بقاع الأرض ! ! إنه يولد كما يولد الأمل المعسول فى النفوس المرحة الغضة ، فالكنائس تعج بالصلوات المستبشرة ، والمنازل تفيض بالمسرات المتجددة ، والعالم الغربى كله لايذكر فى هذه اللحظة عاماً دفن مع الأمس ، ذوت فيه نواضر المنى ، وذهب معه بعض العمر ، وإنما يذكرون عاماً يولد مع اليوم ، فتستأنف نشاطها فيه ، وتستمد رجاءها منه ، وتستقبل حدثان الغد بالثغر الباسم والعزم الصارم والنظر الرغيب . وما أدرى — وقد نشأت فى ربوع الغرب وطوّفت فى بعض أنحاء الشرق — لماذا كان المسلمون وحدهم اليوم رماد الموقد المضطرم : يتحرك بهم الفلك وهم ساكنون ، وتتفجر عليهم الأحداث وهم غافلون ، ويُلقَوْن فى مراغة الذل وهم راضون ، وتؤكل بهم أرزاق الأرض وهم قانعون ، ويجادل عنهم خصومهم وهم ساكتون ؟ أيرجع ذلك إلى العقيدة أم إلى الطبيعة ؟

فأجبتها والخجل يكسر من طرفى ويعقد من لسانى : ربما كان مرجعه إلى الاثنتين معاً !

وكانت تنظر إلى لهب النار يرقص وارياً بين وقود المدفأة ، فحولت فى دهشة وسرعة وجهها إلىّ وثبّتت نظرها فىّ ، وقالت : كيف ؟! ألم تكن عقيدتهم اليوم هى العقيدةَ التى ألّفت من شتات البدو دولة ، وبعثت من جوف الصحارى حضارة ، ونفخت فى قلوب الصعاليك من روح الله فطمحوا إلى ملك كسرى وهم جياع ، وسموا إلى عرش قيصر وهم عراة ، وصمدوا إلى حكم العالم وهم سذّج ؟

ألم تكن طبيعتهم اليوم هى الطبيعة التى تكرمت عن الدون ، وتجافت عن الهُون ، وتسامت إلى القدْر الخطير ، وتمردت على الطغيان المستبد ، وجعلتهم يضعون أنفسهم فى كفة ، والعالم كله فى كفة ، فسموا — كما علمتُ منك — من عَداهم بالعجم ، كما سمى الرومان من عداهم بالبربر ؟

فقلت لها : كلا وأسفاه ! ليست العقيدة هى العقيدة ، ولا الطبيعة هى الطبيعة ! كانت عقيدتهم كما قلتِ سامية تبعث الطموح ، صافية تكسب الخلوص ، بسيطة تنتج الوفاق ، جامعة توجب الوحدة ؛ توفق بين الدين والدنيا من غير كلفة ، وتصل بين الله والانسان من غير واسطة ، فاختلط بها فى القرون الأخيرة شعوذة الهنود وأساطير اليهود وصوفية الفرس ولاهوتية اليونان ، فأصيبت بالخَدَر الذاهل ، والتواضع الجبان ، والزهد الكسول ، والاتكال المخلف ، والجدل العقيم ، والاختلاف المفرق ؛ ثم تبخر من هذا الخليط المشوه أكسير الحياة فلم يبق إلا الرواسب الغريبة ، وتصعّد منه عبير الروح فلم يبق إلا الأوراق الجفيفة ؛ فالدين اليوم شعائر من غير شعور ، وتقليد من غير فهم ، واعتقاد من غير تطبيق ، وشعوذة من غير حقيقة ، وأحكام من غير حكم

***

وكانت طبيعتهم كما قلتِ أبية تأنف الضراعة ، طامحة تكره القناعة ، وثابة تحاول التفوق ، طلاعة تحب المغامرة ؛ فامتزجت بها من بعد الفتوح دماء الأجناس المملوكة ، وأدواء الأمم المنهوكة ، وأوباء الأقاليم القصية ؛ ثم قرت فيها صبابة الأحقاب ، وانتهت إليها نفاية الأعقاب ، وناءت بها أعباء التقاليد . فالعقلية الاسلامية اليوم مشوبة غير صريحة ، معقدة غير واضحة ؛ وهى من عبث الأحداث متنافرة لا تلتئم ، متخاذلة لا تقاوم

إنما العقيدة الخالصة والطبيعة السليمة لا تزالان فى بوادى الحجاز وهضبات نجد ؛ ولكن العالم غير العالم ، والوسيلة غير الوسيلة ، والغاية غير الغاية !

فاذا لم نجلُ عن عقيدتنا هذا الصدأ العارض ، ونَنْفُ عن ثقافتنا هذا الهراء الغث ، ونجُذّ من خلفنا ذيل التقاليد الفاسدة ، ظل سيرنا يا سيدتى بطيئاً لا يَلحق ، وجهدنا باطلا لا يفيد

***

وكانت فورة اللعب والطرب قد قرّت فى نفوس القوم ، فخلت المائدة ، وسكت الراديو ، وفتر الحديث ، وتهيأ السامرون للخروج ؛ فلم تستطع السيدة أن تعقب على هذا الكلام

احمد حسن الزيات

---

(١) لأنها أخذت شطراً من العام الماضى وشطراً من العام الجديد

في الحب والمرأة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

أنا — كما لا يعرف القارئ وإن كان لاشك لبيباً — أكره أن أحِب أو أن أحَب . ولهذا النفور من الحب أسباب شتى ، منها أنه لا يد لي في الأمر ، ولا سلطان لي عليه ، والمرء يصاب بالحب كما يصاب بالزكام — بكرهه وعلى الرغم منه — ولو خيّر لاختار السلامة وآثر النجاة ، ومن ذا الذي يطيب له أن يتوعك ؟ والحب حين يغمر النفس يذهلها عن لذته وحلاوته ، ويشغلها بالوجيب والقلق والخوف والرغبة والغيرة ، ولهذا كان أمتع ما فيه ذكراه — أي بعد أن تفتر الحرارة وتسكن النفس ويزول الاضطراب والقلق — أو تنتفي دواعيهما بفتور الرغبة — وقد يكون البحر الجائش العباب رائعا ولكن ركوبه لا يحلو ، واعتسافه لا يؤمن ، والنفس مثله . وقد يسمو بها اضطرام الحب فيها إلى الجلال ، ولكن الاحاطة بما تضطرب به والغوص عليه لا يتسنيان إلا بعد الهدوء ؛ وقد يلهم المرء شيئاً وهو هائج ، ولكن النظرة المباركة هي التي تدور بها العين في أنحاء النفس بعد أن تعود اليها سكينتها وصفوها ويتيسر الوصول إلى أغوارها والنفاذ إلى زواياها والتغلغل في سراديبها .

ومن الأسباب المزهدة أني رجل عادل منصف ، أو دع الانصاف وقل إن الله خلق لي في وجهي عينين ، فما خيرهما إذا أنا لم أنظر بهما ؟؟ والمرأة مستبدة ، ومن استبدادها أنها تغضب وتثور وتسوّد عيشك اذا نظرت إلى سواها . وعبثٌ أن تحاول أن تفهمها أن الأغضاء عن كل هذا الجمال الذي في الناس ، قلة عقل ، وقصر نظر — بل عمى — ؛ وماذا تصنع العينان إذا لم تبصرا ؟ وأي عمل آخر لهما هناك ؟ وكون المرأة التي يُبتلى الانسان بحبها جميلة ليس معناه أن النساء غيرها دميمات ؛ وحبك إياها لا ينبغي أن يتقاضاك مقت النساء الأخريات وتنقصهن ؛ والاعجاب بهن لا يعد ثلباً لحبيبتك ، وفي وسعها هي أيضاً — إذا شاءت وكان هذا مما تستطيع — أن تعجب مثلك بهن . والرجل الذي يفقده الحب القدرة على الاعجاب بالجمال في صوره المختلفة يكون فاسد الذوق ، ولو عقلت المرأة لكان هذا كافياً لتشكيكها في رأيه فيها

ويزهدني في الحب أيضاً أن مناظر العشاق مضحكة ، وأحوالهم سخيفة ، ومبالغاتهم شديدة ، ودعواهم عريضة ، وعمى قلوبهم وأبصارهم تام عن كل ما يحيط بهم . وأي عاشق لم يقطع ألف وعد بالوفاء المستحيل ؟ بل أي محب لم ينس طربوشه مرة ، أو لم يلبس طربوشين واحدا فوق الآخر (ومع ذلك تراه لذهوله يدور باحثاً عن طربوشة لظنه أن رأسه عار !) أو لم يبد للناس في الطريق أو الترام ملتاث العقل مخبولا ، يضحك ويقطب بلا سبب ظاهر ، ويشير بأصابعه أو يلوح بيده ، أو يكلم نفسه ؟ والأرق ؟ لا أدري لماذا لا ينام العشّاق ملء جفونهم كما ينام عبادُ الله الآخرون ؟ ولكن الذي أدريه أن النوم المزعج قلما يؤاتيهم أو يسعفهم بسكينته ، وتالله إن العاشق لمسكين ! لا نوم الليلة يا صاحبي لأنك حين ذهبت الى بيت حبيبتك رأيتها مطلةً من النافذة وناظرةً الى جهة غير التي تعرف أنك آتٍ منها ! فهل كانت يا ترى تنتظر سواك ؟ وعليك أن تذرع أرض الغرفة مائة ألف مرة هذه الليلة وتقطع خمسمائة فرسخ — جيئة وذهوبا — لأنك وأنت معها جعلت ذراعك حولها وهممت بضمها وتقبيلها فجنحت الى الدلال ونفرت من العناق ، وكانت تبتسم ، ولكنها قالت « من فضلك ! » من فضلك ؟ ، وهل بيننا « من فضلك ؟ » . هذا كلام يقال للأغراب ، وتكلف في التعبير لا يكون بين المحبين ! ويظل طول الليل يدب على رؤوس النيام تحته . وفي ليلة يسير على وجهه في الشوارع كالمتشردين ، ويحدث نفسه بالانتحار ، ويجتاز جسر اسماعيل ، وعينه الى الماء الذي يتدافع بين قواعده ، وقد يسأم التدخين فيلقي بعلبة السجاير في الماء ويغرقها فيه بدلا منه وفداء له ، وبعد خمس دقائق يشتري غيرها . ولا يزال يتمشى حتى يرتاب في أمره الشرطة ، ويرى منهم ما يرد اليه بعض ما عزب من عقله ، فيرجع إلى البيت مضعضعاً مهدوداً . . . الى آخره ، إلى آخره

ثم إن الحب إذعانٌ ، ومن أحب امرأة فقد أسلم أمره — الى حد ما — لأهواء لا ضابط لها ولا كابح ، ولا تميز فيها بين الممكن والمتعذر ، أو اللائق وغير اللائق ؛ وقد يطير الحب عقل الرجل — بل هو يفعل ذلك على التحقيق — ولكنه لا يستطيع أن يغير أسلوب تفكيره ولا أن يجعله كأسلوب المرأة في تفكيرها . وعسيرٌ أن يظل الحب قادرا على إخفاء الفوارق بين أسلوبي

الرجل والمرأة فى التفكير . وهب وقدته تبقى زمناً طويلا – وهو ما أشك فيه ولا أومن به – فان توالى اصطدام العقليتين خليق أن ينبه الى هذه الفوارق وأن يزعج الرجل ويحيره ، وقد يفضى به الى السآمة

والمرأة التى ترى نفسها محبوبة تتوهم أن الرجل أباحها ظهره فهى تركبه وتركضه كيف شاءت والى حيث ينزو برأسها أن تذهب ، ولا تبالى ما يصيبه من الارهاق والجهد والاعياء والملل ، ولا يخطر لها أن كده على هذا النحو ولجاجتها فى ذلك خليقان أن يخمدا وقدة الحب

والدلال ، ماذا تقول فيه ؟ إنه مصيبة كبيرة وبلاء عظيم ، ولكن المرأة تحسبه وقود الحب ، فلا سبيل إلى شىء إلا بعذاب غليظ من هذا الدلال الثقيل ، إذ كانت المرأة تسىء الظن بقيمة الاستجابة السريعة ، ولا تؤمن إلا بقول القائل – قاتله الله كائناً من كان ، فقد نسيت من هو – : « وَحَبَّ شىء إلى الانسان ما منعا »

قلت مرة لامرأة وقمت بينها وبين حبيبها نبوة من جراء دلالها وإبائها عليه قبلة اشتهاها : « ياستى أنت تحبينه ، وهو يحبك – أليس كذلك ؟ »

فألقت إلىّ نظرة خبيثة ، فهززت رأسى وقلت : « نعم أو لا ؟ أيهما ؟ قولى بلسانك »

فقالت : « لكأنى فى مدرسة ! »

قلت : « ومن الذى غشك وأوهمك أنك استغنيت عنها ؟ ؟ إنك لم تشبى عن الطوق إلى الآن ، ومازلت إلى هذه الساعة بنتاً صغيرة جاهلة ، أجدر بك أن تخرجى إلى الشارع ، فتلعبى فيه بالحبل ... »

فلم يسؤها منى هذا الطعن لأنها كانت تعرف عطفى عليها ، وحبى لخيرها ، فأعدت عليها السؤال ، فقالت : « نعم »

فقلت : « أشهد ألا إله إلا الله ! وقد اشتهى منك قبلة ، فهل كنت تأنسين من نفسك استعدادا للاجابة ورغبة فيها ؟ »

فضحكت وقالت : « هذا اشبه بالتحقيق . . . . شىء جميل والله ! »

قلت : « هو تحقيق . . . فأجيبى »

فصاحت : « ولماذا لم يقبلنى ؟ ماذا منعه ؟ »

فصحت بدورى : « إيه ؟ ماذا تقولين ؟ »

قالت : « أقول إن روحى كانت على شفتى . . . . وكنت أتلهف على قبلته ، ولكنه لم يفعل وذهب يتكلم ... سخيف ! »

قلت : « ليس هو وحده السخيف »

فرفعت وجهها إلىّ ، وزوت ما بين عينيها ، فقلت : « أنا أيضاً مثله . . . . . فقد كنت أحسبه مؤدباً ، وأعده مهذباً ، فاذا به مغفل ! »

فضحكت ... وهكذا المرأة أبداً ... ومن هذا الذى يجرؤ أن يزعم أنه يعرفها معرفتها ؟ يفعل الرجل الشىء يطلب به رضاها ، فاذا هى ساخطة ضجرة ؛ ويتقى الشىء يخشى أن يغضبها بفعله ، فاذا هى تلومه وتؤنبه وتعد ذلك من ذنوبه ؛ وتختصر الطريق وتمشى إلى غايتك مباشرة ، فتراها تؤثر اللف والمحاورة ، فتروح تدور فتجدها قد تغير مزاجها ، واختلفت رغبتها وانقلبت تؤمن بأن الخط المستقيم أقرب ما بين نقطتين ؛ وتهدى اليها تحفة تتعب فى انتقائها ، وتغرم فى سبيلها نصف دخلك ، فتقول : « هلا استشرتنى قبل أن تشتريها ؟ » ؛ وتستشيرها فى مرة أخرى فتقول : « لو فاجأتنى بالهدية لكان ذلك أحلى وأوقع » فأنت معها أبدا على كف عفريت سكران

وعقول الرجال فى رؤوسهم ، أما عقل المرأة فقد يكون فى حذائها – ولكنه على التحقيق – ليس فى رأسها . وضائع ، ضائع ، من يجادلها بمنطق الرجال ، أو يكلمها كلام العقل ، فما عرفت ذلك يجدى معها . ولو أن رجلا أتى على عقل امرأة بكتاب فى ثلاثين جزءاً لما بلغ من نفسها ما هو خليق أن يبلغ بكلمة ثناء مفردة على جمالها – ولو كذبا – أو نظرة اعجاب واحدة الى حذائها وإن كان أضخم من الباخرة نورماندى ، أو مسحة بكفه – فى حنو ، ولو متكلفا – على شعرها وإن كان كضوء القمر

ولست أذم المرأة ، وكيف أجرؤ ، وهى زينة الحياة وسر سحرها ؟ ولكنى أقول إنها مخلوق آخر ، غير الرجل ، وهو قول ليس فيه جديد ، ولا شك أن الرجل يبدو للمرأة – كما تبدو هى له – مستغرب الأطوار شاذا فى أسلوب تفكيره ، وطريقة تناوله للأمور

ابراهيم عبد القادر المازنى

٢ - المشـــكلة (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

لما فرغتُ من مقالات (المجنون) وأرسلتُ الأخيرة منها، قلتُ في نفسي: هذا الآخِرُ هو الآخر من المجنون وجنونه، ومن الفكر في تخليطه ونوادره؛ غير أنه عاد إليّ أخلاطاً وأضغاثاً فكأني رأيته في النوم يقول لي: اكتب مقالا في السياسة. قلت: مالي والسياسة، وأنا «موظف» في الحكومة، وقد أخذت الحكومة ميثاق الموظفين لما عرفوا من نقدٍ أو غميزةٍ ليكتُمُنّه ولا يُبَيِّنونه. فقال: هذه ليست مشكلة، وليس هذا يصلح عذرا، والمخرجُ سهلٌ والتدبير يسيرٌ والحلُّ ممكن. قلت: فما هو؟

قال: اكتب ما شئت في سياسة الحكومة، ثم اجعل توقيعك في آخر المقال هكذا: «مصطفى صادق الرافعي؛ غير موظف بالحكومة» . . . . .

فهذه طريقة من طرق المجانين في حل المشاكل المعقّدة، لا يكون الحل إلا عقدةً جديدةً يتم بها اليأس ويتعذّر الامكان، وهي بعينها طريقةُ ذلك الطائر الأبله الذي يرى الصائد فيُغمِّض عينه ويلوي عنقه ويخبأ رأسه في جناحه ظناً عند نفسه أنه إذا لم ير الصائد لم يره الصائد، وإذا توهم أنه اختفى تحقق أنه اختفى؛ وما عمله ذلك إلا كقوله للصياد: إني غير موجود هنا . . . على قياس «غير موظف»

* * *

وقد كنت استفتيتُ القراء في (المشكلة) وكيف يتقي صاحبُها على نفسه وكيف تصنع صاحبتُها؛ فتلقيتُ كتباً كثيرة أهدتْ إليّ عقولا مختلفة؛ وكان من عجائب المقادير أن أول كتاب ألقي إليّ منها — كتابُ «نابغة» كنابغة القرن العشرين، بعث به من القاهرة، وسمى نفسه فيه (المصلح المنتظر)؛ وهذه عبارته بحرفها ورسمها كما كُتبت وكما تُقرأ؛ قال نشر هذا النص كما هو، يكون أيضاً نصاً على ذلك العقل كيف هو . . . .

قال: «إن هذا الكون تمبت فيه آراء المصلحين، وكتب الأنبياء زهاء قرون عديدة، ودائماً نرى الطبيعة تنتصر. ولقد نرى الحيوان يعلم كيف يعيش بجوار أليفه، والطير كيف يركن إلى عش حبيبته، إلا الانسانُ. ولقد تفنن الشرعون في أسماء العادات والتقاليد والحيــة والشرف والعرض، وإن جميع هذه الأشياء تزول أمام سلطان المادة فما بالكم بسلطان الروح؟

ورأيي لهذا الشاب ألا يطيع أباه، ولو ذهب إلى ما يسموه الجحيم (كذا) إذا كان بعد أن يعيش الحياة الواحدة التي يحياها ويتمتع بالحب الواحد المقدر له، ما دام قلبه اصطفاها وروحه تهواها؛ ولو تركته بعد سنين قليلة لأي داع من دواع الانفصال. (كذا)

وهذا ليس مجرد رأي مجرب، وإنما هو رأي أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن، وسينتصر على جميع من يقفون أمامه، والدليل أن هذا المقال سيشار اليه في مجلة (الرسالة)، وهذا الرأي سيعمل به، وصاحب هذا الرأي سيخلد في الدنيا، وسيضع الأسس والقوانين التي تصلح لبني الانسان مع سمو الروح بعد أن أفسدت أخلاقه عبادة المال

إن الانسان يحيا حياة واحدة فليجملها بأحسن ما تكون، وليمتع روحه بما تمتع به جميع المخلوقات سواء. وإلى الملتقى في ميدان الجهاد» (المصلح المنتظر) انتهى

وهذا الكتاب يحل (المشكلة) على طريقة غير «موظف» . . . فليعتقد العاشق أنه غير متزوج فاذا هو غير متزوج، وإذا هو يتقلب فيما شاء؛ وتسأل الكاتب ثم ماذا؟ فيقول لك: ثم الجحيم . . .

وإنما أوردنا الكتاب بطوله وعرضه لأننا قرأناه على وجهين، فقد نبهتنا عبارة «أكبر عقل أنجبته الطبيعة حتى الآن» إلى أن في الكلام إشارةً من قوة خفية في الغيب، فقرأناه على وحي هذه الاشارة وهديها فاذا ترجمةُ لغة الغيب فيه: «ويحك يا صاحب المشكلة، إذا أردت أن تكون مجنوناً أو كافراً بالله وباليوم الآخرة فهذا هو الرأي. كن حيواناً تنتصرُ فيه الطبيعة والسلام

* * *

(١) انظر المقال الأول في العدد ١٢٣ من الرسالة. والمشكلة هي قصة عاشق أكره على الزواج من امرأة وهو يحب أخرى فكيف يصنع

تلك إحدى عجائب المقادير فى أول كتاب أتى إلى ؛ أما العجيبة الثانية فان آخر كتاب تلقيته كان من صاحبة المشكلة نفسها . وهو كتاب آية فى الظرف وجمال التعبير وإشراق النفس فى أسرارها يَعُور مَوْر الضباب الرقيق من ورائه الأشعة ، فهو يحجب جمالاً ليظهر منه جمالاً آخر ؛ وكأنه يعرض بذلك رأياً للنظر ورأياً للتصوُّر ، ويأتى بكلام يقرأ بالعين قراءةً وبالفكر قراءة غيرها . ولفظها سهلٌ سهل ، قريبٌ قريب ، حتى كأن وجهها هو يحدثك لا لفظها ، ومادة معانيها من قلبها لا من فكرها ، وهو قلبٌ سليمٌ مُقْبِلٌ على خواطره وأحزانه مُسترسِلٌ إلى الايمان بما كُتب عليه استرساله إلى الايمان بما كُتب له ، فما به غرور ولا كبرياء ولا حقد ولا غضب ولا يُكرِه ما هو فيه

ومن نكد الدنيا أن مثل هـذا القلب لا يُخلَق بفضائله إلا ليُعاقَب على فضائله ؛ فغِلظةُ الناس عقابٌ لرقته ، وغدرهم نكاية لوفائه ، وتهوُّرهم ردٌّ على أناته ، وحمقُهم تكدير لسكونه ، وكذبهم تكذيبٌ للصدق فيه

وما أرى هذا القلب مأخوذا بحب ذلك الشاب ولا مستهاماً به لذاته ، وإنما هو يتعلّق صُوراً عقليةً جميلةً كان من عجائب الاتفاق أن عرضت له فى هذا الشاب أول ما عرضت على مقدار ما ؛ وسيكون من عجائب الاتفاق أيضاً أن يزول هذا الحب زوال الواحد إذا وُجدت العشرة ، وزوال العشرة إذا وُجدت المائة ، وزوال المائة إذا وُجد الألف

وبعد هذا كله فصاحبــة المشكلة فى كتابها كأنما تكتب فى نقد الحكومة على طريقة جمل التوقيع : « فلان غير موظف بالحكومة » ... وهى فيما كتبت كالنهر الذى يتحدَّر بين شاطئيه مدّعياً أنه هارب من الشاطئين مع أنه بينهما يجرى . تحبُّ صاحبها وتلقاه ؛ ثم هى عند نفسها غير جانيــة عليه ولا على زوجته ... فليت شعرى عنها ماعسى أن تكون الجناية بعد زواج الرجل غير هذا الحب وهذا اللقاء ؟

ونحن معها كأرسطاطاليس مع صديقه الظالم حين قال له : هَبْنا نقدر على محاباتك فى ألا نقول إنك ظالم ؛ هل تقدر أنت على ألا تعلم أنك ظالم ؟

ورأيها فى (المشكلة) أن ليس من أحد يستطيع حلَّها إلا صاحبها ، ثم هو لا يستطيع ذلك إلا بطريقة من طريقتين : فاما أن تكون ضحيةُ أبيها وأبيه (تعنى زوجته) ضحيته هو أيضاً ويستهدف لما يناله من أهله وأهلها فيكون البلاء عن يمينه وشماله ، ويكابد من نفسه ومنهم ما إنَّ أقلَّهُ ليذهبُ براحته وينغِّص عليه الحبَّ والعيش ، (قالت) : وإما أن يضحى بقلبه وعقله وبى ... .

وهذا كلام كأنها تقول فيه : إن أحداً لايستطيع حل هذه المشكلة إلا صاحبها ، وأن صاحبها غير مستطيع حلها إلا بجناية يذهب فيها نعيمه ، أو بجنون يذهب فيه عقله . فان حلها بعد ذلك فهو أحد اثنين : إما أحمق أو مجنون ما منهما بد . . .

ولسان الغيب ناطق فى كلامها بأن أحسن حل للمشكلة هو أن تبقى بلا حل ، فان بعض الشر أهون من بعض

* * *

والعجيبة الثالثة أن « نابغة القرن العشرين » جاء زائراً بعد أن قرأ مقالات (المجنون) فرأى بين يدىَّ هذه الكتبَ التى تلقيتها وأنا أعرضها وأنظر فيها لأتخير منها ، فسأل فخبَّرته الخبر ؛ فقال : إن صاحب هذه المشكلة مجنون لو امتحنوه فى الجغرافيا وقالوا له ما هى أشهر صناعة فى باريس لأجابهم : أشهر ما تعرف به باريس أنها تصنع (البودرة) لوجه حبيبتى . . .

قلت : فكيف يرتد هذا المجنون عاقلاً ؟ وما علاجه عندك ؟

قال : وَجِّهْ فى طلب ! . ش ليجىء ، فلما جاء قال له اكتب : جلس « نابغــة القرن العشرين » مجلسَه للافتاء فى حل المشكلة فأفتى مرتجلاً :

إن منطق الأشياء وعقلية الأشياء صريحان فى أن مشكلة الحب التى يعسر حلُّها ويتعذَّر مَجازُ العقل فيها ، ليست هى مشكلة هذا العاشق أكرهوه على الزواج بامرأة يحملها القلب أولا يحملها ، وإنما تلك هى مشكلة أمبراطور الحبشة يريدون إرغامه أن يتزوج إيطاليا ، ويذهبون يزفونها إليه بالدبابات والرشاشات والغازات السامة

ولو لم يكن رأس هذا العاشق المجنون فارغاً من العقل الذى يعمل عمل العقل ، إذن لكانت مجارى عقله مطردة فى رأسه فانحلَّت مشكلتُه بأسباب تأتى من ذات نفسها أو ذات نفسه ، غير أن فى رأسه عقلَ بطنه لا عقل الرأس ، كذلك الشره البخيل

الذي طبخ قِدْراً وقعد هو وامرأته يأكلان . فقال ما أطيبَ هذه القِــدْرَ لولا الزحام . . . قالت امرأته : أي زحام ههنا ؟ إنما أنا وأنت . قال : كنت أحب أن أكون أنا والقدر فقط ...

فعقلُ النهم في رأس هذا كعقل الشهوة في رأس ذاك ؛ كلاهما فاسدُ التقدير لا يعمل أعمال العقول السليمة ؛ ويريد أحدهما أن تبطل الزوجة من أجل رطل من اللحم ، ويريد الآخر مثل ذلك في رطل من الحب . . .

وإذا فسد العقل هذا الفساد ابتلى صاحبَه بالمشاكل الصبيانية الضحكة لا تكون من شيء كبير ، ولا يكون منها شيء كبير ؛ وهي عند صاحبها لو وُزنت كانت قناطير من التعقيد ؛ ولو كِيلتْ بلغت أرادب من الحيرة ؛ ولو قيست امتدت إلى فراسخ من الغموض

هاتان المرأتان : (الحبيبة والزوجة) ، اما أن تكونا جميعاً امرأتين فالمعنى واحد فلا مشكلة ؛ وإما ألا تكونا امرأتين فالمعنى كذلك واحد فلا مشكلة ؛ وإما أن تكون إحداهما امرأة والأخرى قردة أو هِرْدة وههنا المشكلة . (حاشية : الهردة من أوضاع نابغة القرن العشرين في اللغــة ومعناها الأنثى ليست من إناث الأناسيّ ولا البهائم . . .)

فإن زعم العاشق أن زوجته قردة فهو كاذب ، وإن زعم أنها الهردة فهو أكذب . والمشكلة هنا مشكلة كل المجانين ، ففي مخه موضع أفرط عليه الشعورُ فأفسده ، وأوقع بفساده الخطأ في الرأي ، وابتلاه من هذا الخطأ بالعمى عن الحقيقة ، وجعل زوجته المسكينة هي معرض هذا العمى وهذا الخطأ وهذا الفساد ؛ ولا عيب فيها ، لأنها من زوجها كالحقيقة التي يتخبط فيها المجنون مدةَ جنونه فتكون مَجلَى هَذَيانه ومعرضَ حماقاته ، وهي الحقيقة غير أنه هو المجنون

فإن كانت هذه الحقيقة مسئلةً حسابيةً استمر المجنون مدة جنونه يقول للناس : خمسون وخمسون ثلاثة عشر ، ولا يصدق أبداً أنها مائة كاملة ؛ وإن كانت مسئلةً علميةً قضى المجنون أيامه يُشعِل التراب ليجعله باروداً ينفجر ويتفرقع ، ولا يدخل في عقله أبداً أن هذا تراب منطقُ بالطبيعة ؛ وإن كانت مسئلةً قلبية استمر المجنون يزعم أن زوجته قردة أو هردة ولا يشعر أبداً أنها امرأة

فإن صح أن هذا الرجل مجنون فعلاجه أن يُربط في المارستان ثم يجيء أهله كل يوم بزوجته فيسألونه : أهذه امرأة أم قردة أم هردة ؟ ثم لا يزالون ولا يزال حتى يراها امرأة ويعرفها امرأتَه فيقال له حينئذ : إن كنت رجلاً فتخلق بأخلاق الرجال

أما إن كان الرجل عاقلاً مميزاً صحيح التفكير ولكنه مريض مرض الحب ، فلا يرى (النابغة) أشفى لدائه ولا أنجع فيه من أن يستطبّ بهذه الأشفية واحداً بعد واحد حتى يذهب سقامه بواحد منها أو بها كلها :

الدواء الأول : أن يجمع فكره قبل نومه فيحصره في زوجته ثم لا يزال يقول زوجتي ، زوجتي ، حتى ينام . فإن لم يذهب ما به في أيام قليلة فالدواء الثاني

الدواء الثاني : أن يتجرع شربة من زيت الخروع كل أسبوع . . . ويتوهم كل مرة أنه يتجرعها من يد حبيبته ، فإن لم يشفه هذا فالدواء الثالث

الدواء الثالث : أن يذهب فيبيت ليلة في المقابر ، ثم ينظر نظره في أي المرأتين يريد أن يلقى الله بها ورضاها عنه وثوابه فيها ؛ وأيتهما هي موضع ذلك عند الله تعالى ، فإن لم يُبصر رشده بعد هذا فالدواء الرابع .

الدواء الرابع : أن يخرج في (مظاهرة) . . . فإذا فقئت له عين أو كسرت له يد أو رجل ثم لم تحلّ حبيبتُه المشكلة بنفسها ... فالدواء الخامس

الدواء الخامس : أن يصنع صنيع المبتلى بالحشيش والكوكايين ، فيذهب فيُسلم نفسه إلى السجن ليأخذوا على يده فينسى هذا الترف العقلي ، ثم ليعرف من أعمال السجن جدّ الحياة وهزلها ، فإن لم ينزع عن جهله بعد ذلك فالدواء السادس

الدواء السادس بأنه كلما تحرك دمُه وشاعت فيه حرارةُ الحب ، لا يذهب إلى من يحبها ولا يتوخى ناحيتها ، بل يذهب من فوره إلى حجّام يحجمه ... ليطفئ عنه الدم بإخراج الدم ؛ وهذه هي الطريقة التي يصلح بها مجانين العشاق ، ولو تبدلوا بها من الانتحار لعاشوا هم وانتحر الحب

قال « نابغة القرن العشرين » : فإن بطلت هذه الأشفيةُ الستة وبقي الرجلُ جَمُوحاً لا يُردُّ عن هواه فلم يبق إلا الدواء السابع

سفارة أندلسية
إلى ملك النورمانيين
في القرن الثالث الهجري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لبث عرب الأندلس منذ الفتح زهاء قرنين في مأمن من الغزوات الخارجية، لا تزعجهم سوى الحروب والمعارك الداخلية، ولم تشعر الأندلس المسلمة بخطر الغزو الخارجي في تلك الفترة إلا من ناحية واحدة، هي ناحية مملكة الفرنج التي بلغت ذروة القوة والبأس في عصر عاهلها كارل الأكبر (شارلمان)، والتي استطاعت من قبل أن تستخلص من يد العرب رباط الثغر وكل أملاكهم في لانجدوك وما وراء جبال البرنيه، وأن تغزو اسبانيا المسلمة من الشمال أكثر من مرة؛ ولكن هذا الخطر الدائم لم يلبث أن خبا عقب انحلال المملكة الفرنجية وتوطد الدولة الأموية في الأندلس

بيد أن الأندلس لم تلبث أن عرفت خطراً آخر لم تكن لتفطن اليه أو تتحوط لرده؛ ذلك هو خطر الغزوات البحرية النورمانية؛ وقد ظهر هذا الخطر فجأة حينما ظهرت سفن النورمانيين في مياه الأندلس لأول مرة في سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣ م) في عصر أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، وعاثت في ثغور الأندلس، ووصلت إلى أشبيلية، واقتحم الغزاة بسائطها بالنار والسيف؛ ولم يك لعرب الأندلس يومئذ معرفة بتلك الأمة البحرية التي جاءت من أقاصي الشمال غازية في أقاصي الجنوب، فعرفوها وآنسوا خطرها ومنعتها؛ وعرفوها عندئذ باسم «المجوس»؛ ذلك لأن النورمانيين كانوا يومئذ أمة وثنية تعبد النار والكواكب والعناصر، ثم عرفوها فيما بعد باسم «المجوس الأردمانيين»، أعني النورمانيين؛ وكانت الأندلس حتى ذلك الحين تعنى بأسباب الدفاع الداخلية والبرية، ولا تعنى كثيراً بأمر الأسطول أو التحصينات البحرية، فلما شهدت جرأة أولئك الغزاة المجهولين، وشدة عيثهم بشواطئها وثغورها، عنيت بأمر الأسطول والثغور، ولم يأت عصر عبد الرحمن الناصر حتى كان للأندلس أسطول فخم يسيطر على تلك المياه، ويحمي ثغور الأندلس من كل غزو واعتداء

وقد ترددت حملات النورمانيين على شواطئ الأندلس مراراً، في عصر عبد الرحمن بن الحكم، كما قدمنا، ثم في عصر ولده محمد (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م)، ثم بعد ذلك بنحو قرن في عصر الحكم المستنصر (٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م)، ثم في عهد الطوائف (٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م)، وكانت في كل مرة تبث الذعر والروع والخراب أينما حلت، بيد أنها كانت ترد على أعقابها بعد معارك برية وبحرية طاحنة؛ وكانت تقنع دائماً بما تحصل من الغنائم والسبي، ولا تمكن من البقاء أو الاستقرار وسير هذه الغزوات البحرية مشهورة في الروايات الاسلامية والنصرانية، وليس من موضوعنا أن نعنى بتفاصيلها، وإنما نعنى هنا بحادث دبلوماسي شهير، كان من بعض آثار هذه الغزوات، وهو من الحوادث الدبلوماسية الفريدة في علائق الشرق والغرب والاسلام والنصرانية

الدواء السابع: أن يُضربَ صاحبُ المشكلة خمسين قناةً يُصَكُّ بها (١) واقعةً منه حيث تقع من رأسه وصدره وظهره وأطرافه، حتى ينهشم عظمه، وينقصف صلبه، وينشدخ رأسه وينفرى جلده؛ ثم تُطْلَى جراحُه وكُسوره بالأطلية والمراهم وتوضع له الأضمدة والعصائب، ويترك حتى يبرأ على ذلك أعرج متخلعاً مبعثَرَ الخلْق مكسورَ الأعلى والأسفل، فإن في ذلك شفاءه التام من داء الحب إن شاء الله

قلنا: فإن لم يشفه ذلك ولم يصرف عنه غائلة الحب؟

قال: إن لم يشفه ذلك فالدواءُ الثامن

الدواء الثامن: أن يعاد علاجه بالدواء السابع . . . . . .

(لها بقية)

(١) القناة هي العصا الغليظة التي يقال لها «الشومة». والصك خاص في ضرب الرأس، ولكن لما كانت عظام صاحب المشكلة مقصودة في هذا العلاج ... فقد جاز استعمال الصك في الجسم كله كما يليت

الى الفاضل البرى بصور: لا وقت لي فأبحث وأجيبك عن كل هذه المسائل، ولكني سأعهد في ذلك الى بعض أصحابنا ممن أكلوا الكتب وأكلتهم، وقد انتظرت فانتظر أيضاً

الرافعي

قام النورمانيون بغزوتهم البحرية الأولى لشواطئ الأندلس فى سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٣م) فى عهد عبد الرحمن بن الحكم ، وعاثوا فى بسائط أشبونه وأشبيلية ولبلة ؛ ولم يستطع الأندلسيون رد أولئك الغزاة الشقر إلا بعد جهود جهيدة ومعارك طاحنة ، وبعد أن رأوا من جرأتهم وشجاعتهم وشدة فتكهم ما يؤذن بانتمائهم لأمة قوية عظيمة ؛ عندئذ رأى أمير الأندلس عبد الرحمن ابن الحكم أن يسبر غور هذه الأمة المجهولة ، وأن يسعى إلى مهادنتها وعقد أواصر الصداقة معها ، فى نفس الوقت الذى يعنى فيه بتقوية الأسطول وتحصين الثغور ، فانتهز فرصة مقدم الرسل النورمانيين إلى قرطبة لعقد الصلح بعد هزيمة الغزاة وجلائهم عن الثغور الأندلسية ، وقرر أن يوفد معهم إلى ملك النورمانيين سفارة يؤكد بها المودة والصداقة

واختار أمير الأندلس لسفارته رجلا جعلته صفاته الخاصة خير من يستطيع الاضطلاع بتلك المهمة هو يحيى بن الحكم المعروف بالغزال ؛ وكان الغزال شاعراً رقيقاً من أهل جيان ، وكان يومئذ من أكابر رجال الدولة والبلاط ، يصطفيه عبد الرحمن ويؤثره برعايته وتقديره لما كان يتمتع به من خلال وكفايات خاصة فى الادارة والسياسة . وكان عبد الرحمن قد اختاره قبل ذلك ببضعة أعوام ليكون سفيره لدى قيصر قسطنطينية الامبراطور نيوفيلوس ؛ وكان الامبراطور قد بعث اليه سفارة وهدية فخمة ليخطب وده ومحالفته ويرغبه فى ملك أجداده فى المشرق حقداً منه على المأمون والمعتصم ؛ فرحب عبد الرحمن برسل الامبراطور ، وبعث إليه يحيى الغزال بهدية فخمة (٢٢٥ هـ — ٨٣٦ م) فأدى الغزال سفارته ببراعة ، واستطاع أن يخلب لباب الامبراطور وبطانته بذلاقته وحسن بيانه ورقة شمائله ؛ واستمر عبد الرحمن بعد ذلك يسند اليه مختلف المهام الدقيقة فيؤديها بكياسة وبراعة ؛ وكان الغزال فى الواقع رجلا خلابا وسيم الطلعة — ومن ثم سمى بالغزال — يتمتع بصفات السياسى البارع وخلاله ومؤثراته ، ويستخدمها دائما بفطنة ونجاح

وقد انتهت الينا عن هذه السفارة الفريدة رواية اسلامية ضافية لكاتب أندلسى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى وهو أبو الخطاب بن دحية البلنسى فى كتاب له يسمى « المطرب فى أشعار أهل المغرب »[1] ؛ وفيه يسرد تفاصيل رحلة الغزال إلى بلاد النورمانيين ، ويورد لنا طرفا من خلاله وشيئاً من نظمه ، بيد أن هذه الرواية الضافية تعنى بالناحية الشخصية والأدبية أكثر مما تعنى بالتحقيق التاريخى ، ومن ثم فان كثيراً من الغموض يحيق بالمكان وبالظروف التى وقعت فيها هذه السفارة ويترك المجال واسعاً لمختلف الفروض

تقول الرواية إن يحيى الغزال ومساعده يحيى بن حبيب خرجا من مياه الأندلس الجنوبية فى سفينة أندلسية خاصة أعدت لهما ، وسارت بهما إلى جانب سفينة الرسل النورمانيين ؛ واتجهت السفينتان نحو الغرب حتى خرجتا إلى المحيط ؛ وشهد السفير المسلم من عصف الرياح وروعة الموج أهوالاً ؛ وقد ترك لنا الغزال فى وصفها شعراً يقول فيه :

قال لى يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتـ ـت عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو ت الينا عن حيال
فرأينا الموت رأى العيـ ـن حالا بعد حال

ولكن الركب وصل سالما إلى « بلاد المجوس » بعد رحلة شاقة مروعة ؛ وسار الغزال وزميله إلى مستقر ملك النورمانيين .
أما عن مستقر مملكة النورمانيين (المجوس) فتقول لنا الرواية ما يأتى : « وهى جزيرة عظيمة فى البحر المحيط فيها مياه مطردة ، وجنات ، وبينها وبين البر ثلث مجار ، وهى ثلثمائة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يحصى عددهم ؛ وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة منها صغار وكبار أهلها كلهم مجوس ، وما يليهم من البر أيضاً لهم مسيرة أيام ، وهم مجوس ، وهم اليوم على دين النصرانية[2] »

وهنا موضع الغموض والحدس . إذ ما هو ذلك القطر الذى تعنيه الرواية الاسلامية ، والذى كان مستقرا لملك النورمانيين وقت مقدم الغزال ؟ لقد كان للفيكنج أو النورمانيين

---

(١) مازال هذا الكتاب مخطوطا ، وتوجد منه نسخة فى المتحف البريطانى وقد نقل الينا دوزى رواية ابن دحية عن سفارة الغزال فى كتابه Recherches, II. App. XXX IV

(٢) راجع رواية ابن دحية فى كتاب دوزى المشار اليه

يومئذ ملك فى الشمال ، فى دانمارکه ، وكان سلطانهم منذ أوائل القرن الثامن يشمل دانماركه وقسما من اسكندناوه ، وألمانيا الشمالية حتى فرزيا ؛ ويلوح لنا من تأمل الوصف الذى تقدمه لنا الرواية الاسلامية عن رحلة الغزال فى بحار خطرة مروعة ، وعن طبيعية القطر الجزرية ، أن هذا القطر هو الدانماركه ، فهو شبه جزيرة يحيط بها عدد كبير من الجزائر ؛ ومن هذه الجزائر كانت تخرج حملات النورمانيين الغازية الى البحار الغربية والجنوبية . وكان يجلس على عرش النورمانيين فى ذلك الوقت (نحو سنة ٨٤٤ أو ٨٤٥ م) ملك يسمى « هوريك » ، وكان النورمانيون يومئذ أحداثا فى النصرانية ، حسبما تقول الرواية الاسلامية ، لأنهم بدأوا باعتناقها قبل ذلك بنحو عشرين عاما فقط . بيد أن هناك احتمالاً آخر يمكن الأخذ به ، وهو أن القطر الذى زاره السفير الاسلامى ليؤدى رسالته الى زعيم الفيكنج ربما كان جزيرة ارلندة التى تنطبق طبيعتها وموقعها على أوصاف الرواية الاسلامية ، وكان الفيكنج قد فتحوها قبل ذلك بأعوام (٨٤٠ م) واستقروا فى شمالها ، واتخذها زعيمهم « تورجيس » أو « ترجستر » قاعدة للملكه

وعلى أى حال فقد لقى السفير المسلم من ملك النورمانيين كل ترحاب وعطف ، وأفرد لاقامته وزملائه منزلا حسناً ؛ وتصف لنا الرواية بعد ذلك كيف استقبل الملك الغزال ، وكيف أعجب بجرأته وذلاقته ولباقته ، وكيف قدم اليه الغزال كتاب الأمير عبد الرحمن وهديته من الثياب والآنية ، فوقعت لديه أحسن موقع . ولقى الغزال مثل هذا الاعجاب والعطف فى البلاط النورمانى كله . ثم تقدم لنا الرواية تفاصيل شائقة عن صلات الغزال بملكة النورمانيين « نود » ومواقفه منها ، وقد رآها الغزال لأول مرة فراعه حسنها ، وصرح أمامها بأنه لم ير فى حياته مثل هذا الحسن الشعرى الفائق مع كثرة ما شاهد من النساء الحسان فى مختلف القصور ؛ وكان الغزال يومئذ قد جاوز الخمسين من عمره ولكنه كان لا يزال جذاباً وسيم الطلعة ؛ فأعجبت الأميرة بروائه وظرفه وحسن بيانه ، وكثيراً ما كانت تستدعيه للتمتع بحديثه الساحر ؛ وكان الغزال من جانبه يهرع الى مجلسها ويكثر من زيارتها حتى حذره أصحابه من ذلك ، ولكنه لم يعبأ بذلك لما يلقاه منها من التشجيع والعطف ؛ وتقص الرواية علينا بعض مواقفه ومداعباته مع تلك الأميرة الحسناء ؛ ومن ذلك قوله ذات يوم فى مجلسها يتغنى بحسنها :

كلفت يا قلبي هوى متعباً ... غالبت فيه الضيغم الأغلبا
انى تعلقت مجوسية ... تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله فى حيث لا ... يلقى إليه ذاهب مذهبا
يا نود يا رود الشباب التى ... تطلع من أزرارها الكوكبا

وقوله ذات يوم وقد أمرته الأميرة بأن يخضب شعره الأشيب ففعل ، واستحسنت خضابه :

بكرت تحسن لى سواد خضابى ... فكأن ذاك أعادنى لشبابى
ما الشيب عندى والخضاب لواصف ... إلا كشمس جللت بضباب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا ... فيصير ما سترت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشيب فانما ... هو زهرة الأفهام والألباب
فلدى ما تهوين ، ماشأن الصبي ... وطلاقة الأخلاق والآداب

وعاد الغزال الى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهراً ومعه كتاب من ملك النورمانيين الى عبد الرحمن بن الحكم ؛ وكان عوده عن طريق شنت ياقوب ثغر جليقية . وقد أدى الغزال سفارته خير الأداء بلا ريب ، ولكن ماذا كان موضوع هذه السفارة وغايتها الحقيقية ؟ هذا ما لم تفصح عنه الرواية ، وإن كنا نعتقد أنها كانت سفارة مودة وصداقة فقط

وعاش الغزال بعد ذلك أعواماً طويلة ، وتوفى بعد الخمسين ومائتين فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وقد أربى على الثمانين ؛ وكان مدى نصف قرن يتبوأ الزعامة فى ميدان الشعر والأدب والحكمة ، ويتبوأ فى بلاط قرطبة أسمى مقام من النفوذ والثقة والتقدير [1]

محمد عبد الله عنان

(١) راجع رواية ابن دحية المتقدمة الذكر فى دوزى Recherches, II, App. 34 — وراجع أيضاً نفح الطيب للمقرى حيث يورد ترجمة الغزال وطرفا من شعره (مصر) ج ١ ص ٤٤١ وما بعدها

تاريخ الأدب النسوى في فرنسا

للأستاذ محمد بك كرد على

Jean Larnac : Histoire de la littérature féminine en France

بينا نرى تركيا تقرر مساواة المرأة بالرجل ، وتعترف لها بحقوقها السياسية فى المجتمع ، غير ناظرة إلى ماضيها وحاضرها ، ولا لاستعدادها المطبوع والمكسوب ، ولا إلى قلة عدد المتعلمات من بنات جنسها فى بلادها ، يخيل اليها أن تجمل منهن أو أن ترتجل منهن عالمات مفكرات ناخبات منتخبات — بينا نرى هذا فى الشرق وتركيا تضع تشريعاً جديداً تجرى أحكامه فى أمة تغرق كثرتها القاصرة فى بحر لجى من الجهالة والأمية ، نرى رجال الغرب على كثرة ما بلغته المرأة عندهم من درجات النشوء والرقى ، يحاذرون أن تساوى الرجل عندهم فى كل الحالات ، ناظرين فى ذلك إلى عدة اعتبارات نفسية وجسمية وعلمية وأدبية وتاريخية

جرأة مستغربة من الترك فى محاولة أمر لم تتم أسبابه ، ولا بعضها ، وتأن لا غرابة فيه من الغربيين ممن بنوا مدنيتهم على العقل ، وساروا بسنة التطور الطبيعى فى كل مظاهرهم ، فأحدثوا هذه الحضارة القائمة على أساس راسخ من العمل والنظر ، ولو نسج الغرب خيوط مدنيته بالخيال ، تمليها العواطف ، ولا يدعمها العقل المولد ، ولا التجارب المسددة ، لما شهدنا هذه المدنية تتفوق على غيرها ، وتكسف شمس المدنيات القديمة التى كان من أعظم ما منيت به عصور جهالات كانت سود لياليها ، ونظريات خيالية ، فقد فيها التسلسل ، ومات منها الابداع

حقا إن أهل البصيرة لا يفهمون سيراً لهذه المقامرة فى جمهورية الترك ، إلا إذا غالطوا حسهم . أليس من أعاجيب الدهر أن ينام الأتراك قروناً عن الأخذ بمذاهب الحضارة ، ويهبوا اليوم دفعة واحدة يحاولون أن ينفذوا قوانين الجمهورية السويسرية فى سكان آسيا الصغرى . ولا يختلف اثنان أن السويسريين أصحاب هذا القانون وصلوا اليه فى عدة قرون ، فاستووا أرق شعب فى الأرض ، أو أول شعب يجىء فى الصف الأول بين الأمم المتفوقة ، والترك بلا جدال مهما غرت ظواهرهم ، متأخرون فى معظم مظاهرهم فى سلم المدنية ، على ما عرفناهم وعرفهم غيرنا من الباحثين من أهل الشرق والغرب

وأعجب من هذا كله أن تحرم المرأة السويسرية الراقية من حق الانتخاب وترزقه المرأة التركية

أمامى الآن «تاريخ الأدب النسوى فى فرنسا» لجان لارنكان ، قرأته مرتين فما بلغت حظ النفس فى تلاوته ، لما ضم من الفوائد الأثيرة ، وليت العاملين والعاملات لانهاض الشرق القريب يتدبرون بعض ما فيه . وطبقات البشر تكاد تكون واحدة إذا تساوى أهلها فى شروط العيش والبيئة والثقافة . وإن ما يحاوله المقدمون علينا فى سلم الحضارة والنشوء الانسانى حرى بالمتأخرين عنهم فى معظم مقومات الحياة أن يحتذوا مثاله ، ويتأدبوا بأدبه ، ويأخذوا من مضامينه عبرة وعظة . والمدنية مذ كانت ينقل فيها المتأخر عن المتقدم ، ولا ضير فى ذلك ولا غضاضة

قلت يوماً لأحد علماء الترك المنورين : أما بلغك أن دمشق ستنار بعد قليل بالكهرباء ، وتسير فيها الحوافل الكهربائية ؟ فضحك وأجاب : إن حالكم بهذه الزينة الجديدة تقام بأيدى الغرباء ، أشبه بأمبراطور كوريا لبس على رأسه تاجاً من ذهب ، ولاسراويلات له تستر عورته . وكان الأولى بإصاح أن تكون للبلدة طرق معبدة ، وترزق حظاً من التنظيم قبل الكهرباء . وأنا أقرر الآن أنه كان الأولى قبل أن تمنح المرأة الشرقية حق التشريع فى مجالس النواب أن تتعلم وتتربى ، حتى إذا استوفت حظها على النحو الذى وصلت اليه المرأة الغربية ، ومتى تعلمت القروية كالبلدية كل ما يلزمها فى صراع الحياة تتمتع بالحقوق السياسية كالمرأة الانجليزية

جملة معترضة ساقت إليها المناسبة . والآن نرجع إلى تحليل الكتاب الجديد فنقول : عالج المؤلف هذا الموضوع أعواماً طويلة فى الصحف والمجلات وفى أسناد له ورسائل ، وكتابه هذا زبدة تجاربه وعصارة علمه وعمله . بدأه بفصل فى تاريخ المرأة فى القديم . فقال إن الرجل بينا كان فى العصور الخوالى صياداً محارباً عرافاً يسير فى العالم على هواه ، ويظفر طفراته فى سبيل المرفة كانت المرأة قابعة فى دارها ، خاضعة خانعة لا يتسع نظرها لأكثر من أعمال بيتها ، وتلقين بنيها التربية الأولى . وكان

النساء في يونان القديمة لا معرفة لهن بغير غزل الصوف يتمهدن القناعة لا يسألن أزواجهن غير هذا . ولذلك قال أفلاطون : إن القرد قرد مهما كان ، والمرأة مهما كان عملها تظل امرأة أي غبية مجنونة . يريد المزؤ بها ، وقد بقي هذا المزؤ بالنساء قروناً في الأرض حتى كانت النصرانية ، ورأى رجال الكنيسة أن يحولوا دون زواج القائمين بأمر الدين فيها ، فصوروا المرأة بصورة بشعة تزهيداً منهم فيها ، حتى لتساءل أحدهم أن كان للنساء نفس

وجاء القرن الثاني عشر ، والنساء مأخوذات بعوامل كثيرة في نهضتهن ، ليس لهن من الحرية ما يتسع لكثير من أسبابها ، ولئن أخذ كثير من الأساودة أو الفرسان وخدام الملوك يرون من الشرف رعاية السيدات ، ومعاملتهن بقواعد اللياقة والظارف ، فان كثيرين من المحافظين في الغاليين (المغول) كانوا يبالغون في وصف النساء بما لا يليق ، ويحرمونهن كل حرية . أما النساء فكن يصبرن على هذه المعاملة ويحاولن الخروج من حالتهن السيئة ، وبقين بين عوامل الحرمة وعوامل الاحتقار مدداً متطاولة ، ولا يشدمش مع هذا أناساً من طبقات مختلفة يحمونهن وبفضلهم يتصدرن ويظهرن ، وأما القاعدة العامة فالتشديد عليهن والمبالغة في الاحتفاظ بالتقاليد الموروثة . وقل فيهن من كن يستطعن أن يكتبن كتابة بسيطة ، أو ينظمن ولو نظماً سخيفاً

وأصبحت إيطاليا في القرن السادس عشر مصدر الآداب والفنون الأدبية ؛ وسرى الفرنسيس على مثال الطليان ، بأن جعلوا المرأة موضع إعجابهم ، فأخذ بعض الكاتبين في فرنسا يضعون رسائل وكتبا في تاريخ المرأة ، وكان أكثر ما وضع بايماز الملكات ، فكان هذا القرن قرن رفعة المرأة ، جسر فيه كستكليون في إيطاليا أن يقول . لولا النساء لتعذر كل شيء ، ولولا هن لما كانت الشجاعة العسكرية ولا الفنون ولا الشعر ولا الموسيقى ولا الفلسفة بل ولا الدين ، وما عرفنا المولى في الحقيقة إلا بهديهن

وبدأ النساء يستعملن قرائحهن ، فنشأ بينهن بعض القصصيات وواصفات الحكايات والشاعرات ، وقل فيهن من كان لها قريحة يعتد بها . ولم يكن الماهرات منهن أكثر من هواة يتفنن وينتشن من الآداب . وأنشأت مدينة ليون لقربها من إيطاليا ، وكانت تدعى « فلورنسة فرنسا » تتذوق الآداب والفنون ، وظهرت فيها المطبعة قبل أن تؤسس في باريز ، وجعل فرنسوا الأول من مدينة ليون مضم جيوشه خلال حرب إيطاليا فنشأت فيها حركة فكرية ندر وقوع مثلها في مدن الولايات ، فكانت منازلها مواطن الظرف واللطف والنساء يصطنعن فيها كل ما يعجب به الرجال . ومنهن من كانت تجيب على ما يوجه إليها من كلمات المديح بأبيات من الشعر ، وتجرأ على نقد ذوق الباريزيات ، فأصبحن بذلك ملكات الذوق والأناقة والجمال ، وفتح كثير من نبيلاتهن قاعاتهن لانشاء قصائد كان ناظموها يجوزون لأنفسهم تمجيد جسم الحبيبة والتغزل بكل ما فيه ، فاتى الأشراف من الأزواج عنتاً من هذا التمجيد ، ولطالما احمرت الوجوه مما يقال ، وكان يومئذ للحياء سلطان على النفوس

ففي القرن السادس عشر إذاً أحرز النساء مقاماً محموداً في المجتمع بفضل الشعراء والنبلاء ، وبقي عليهن أن يطالبن بحقهن في التعليم وحقهن في النبوغ . واشتد الجدال فيما إذا كان للمرأة الحق في التعليم لتكون عالة . ومن النبلاء من قضى للأميرات والنبيلات بتلقف مبادىء العلم ليستطعن إدارة أرضهن ويحكمن رجالهن ، ويدرن شؤونهن ، واقتصر الأمر على هذه الطبقة فقط . وبذلك أرجعوا البنات الطامحات من سائر الطبقات إلى عمل المنازل ، ونشأ من ذلك حوار طويل دعوه خصام الألف باء ، والنساء مع هذا لم يداخلهن اليأس . ولم يقعدهن عن المضي في سبيلهن عائق . وما طلع القرن التاسع عشر حتى دخل النساء في طور العمل بالمطالبة بحقوقهن في التربية ، ولم يكن لنساء الشعب معرفة بشيء : أما المقائل فكن يجلبن لبناتهن معلمين أو يعثن بهن إلى الأديار ، وكانت بعض الراهبات تعلم الناس منذ القرن السادس عشر مسائل بسيطة لا يستطيع بها المتعلمات تصحيح الاملاء ، ولا حذق شيء من صرف اللغة ونحوها . وقام في ذهن بعضهم أن الواجب إدخال تعديل على هذه الحالة . وقال العالم مالبرانش ، بعد أن درس دماغ الرجل ودماغ المرأة : إن الواجب تعليم النساء تعلما صحيحاً . وارتأت مدام دي سيفينيه ، فيما كتبت به إلى ابنتها من الرسائل أن تلقن أولادها قليلاً من العلم تلقيناً حسناً ، وأن يلقن الفتيات الأدب خاصة

وقل أن جسرت امرأة في القرن الذي نشأت فيه مدام

دى سيفنيه ومدام دى لافاييت أن توقع كتابتها أو تأليفها ، مخافة أن تستهدف للسخرية . وما كان حول لويز الرابع عشر الملك العظيم سوى كاتبات يصرفن أوقات فراغهن فى الكتابة ، وما اقتدرت واحدة أن تكتب رواية تمثيلية ؛ وكان تأليف هذه الروايات وقفاً على الرجال . وعانى النساء فن الرسائل والشعر فى قلة . ودعى هذا القرن قرن المجتمعات والمحادثات . ومن هذا القرن خلف الكاتبات رسائل تجلت فيها مواهبهن فى الكتابة . ذلك لأن الرسائل غير محدودة الحدود ولا تربكها القواعد ، ولا تستلزم أكثر من ذهن وقاد ، وتفكر ذاتى ، وإرادة فى الاعجاب ، وحاجة يأمن معها المراسل صاحبه ، وهى صفات تفرد بها النساء . وما برّز فى هذا الباب أكثر من مدام دى سيفنيه ، ولا كُتب لامرأة أن دانتها فى هذا الباب . كانت تعشق المجد ؛ ولا نعلم لو رأت من زوجها عطفاً ـ وكان زير نساء فسّيقا ـ هل كانت تبرز هذا التبرز ؟ ومع هذا كانت تهوى من ترى ذات اليمين وذات الشمال، على مثال أعظم كبريات السيدات فى عصرها . وهكذا يقال فيمن أحرز شهرة مثلها ، وإن كن أقل منها مكانة . كانت دى سيفنيه أماً عاشقة مولهة ، وكاتبة متفردة بهذرها ، وهذرها عبارة عن شعور قوى فيها تحاول بثه ولا تحتاج فى ذلك إلى تأمل كثير . ورسائلها ملأى بالجذل والسرور والتنويع والبديهة ، وهى مرآة عصر القرن العظيم . والنساء فى هذا الجنس من الكتابة يبرزن ويتفوقن

أما مدام لافاييت فالناس على أنه كان لها مؤازرون من الرجال يصقلون ما تنسخ قريحتها ، أو يضعون لها الخطط التى تسير عليها . وأصبح من المألوف أن يكتب الرجال ما ينشر من الآثار باسم النساء ؛ وكان موليير وبوالو يهزآن بالنساء الكاتبات المؤلفات ، ولطالما سلقاهن بألسنة حداد . وكان جمهور النساء فى ذلك العصر على غاية الجهل ، ما خلا بعض العلية والطبقات المختارة ؛ ويختلف عدد الأميات بين سبعين وأربعة وتسعين فى المائة بحسب الأقاليم ، ومنهن من لا يحسن توقيع أسمائهن ؛ وأخذ بعضهن يحضرن بعض دروس الرجال ويتعلمن شيئاً من الرياضيات ، وظل أناس من أرباب المكانة ينعون على النساء ذكاءهن ويمنعونهن من كل ثقافة . ورأى جمهور من الكاتبين أنه لا يليق المزْو بالنساء إلى هذا الحد ، وأنشأوا يعتبرونهن ويودون من الناس إجلالهن ، يقدمون النساء على الرجال فى الموائد والحفلات ؛ وإذا أحرز النساء هذا المقام الاجتماعى فى القرن الثامن عشر : فذلك بفضل ظهورهن فى الأندية الخاصة ؛ وكان البلاط الملكى فى مقدمة هذه المجالس ، وكانت كل امرأة تحررت فى الولايات أو العاصمة من بعض القيود تقيم لها ردهة استقبال ، يكون فيها دار ندوة للسياسة ومثابة للأدب . وكثرت هذه الأندية حتى حار الكتاب فى أيها يختارون . ومنها قاعات بعض نساء أعضاء المجامع العلمية . وعلى هذا أصبح النساء يقدن بأيديهن المملكتين ويحكمن المجتمع ، يملين عليه قواعد الحشمة ، ويأخذن بزمام الآداب ، ويحكن الأحابيل لا ليجعلن من يحمونهن من الرجال فى جملة أعضاء المجمع العلمى ، حيث كانت لهن الكلمة المسموعة ، بل ليسمح لهن بنشر آراء شديدة اللهجة . ولم يكتفين بهذا ، بل كن يطمحن إلى المجد الأدبى فينشرن فى الصحف والمجلات ، ويقرأن ما يكتبن على من يختلف إلى مجالسهن . وغدا الولوع بالآداب من أمارات الظرف فى النساء . وكثر عديد النساء اللائى تعلقن من الأدب بسبب ، وبلغ عددهن ثلثمائة مؤلفة فى الولايات والعاصمة ، وما فيهن واحدة تسهل المقابلة بينها وبين المقيلتين : سفينيه ولا فاييت . وصح بهذا أن يقال إن القرن الثامن عشر أمسى فى تاريخ فرنسا قرن نهضة المرأة . وما سبق لهن فى العصور الخالية أن يتملق لهن الناس ويُستمع لكلامهن ويتمتعن بحرياتهن

كل هذا وجوزيف دى مستر يقول فى كتاب له إلى إحدى بناته : إن فولتير ادعى أن النساء قادرات على أن يعملن كل ما يعمله الرجال ، وما هذا إلا للتقرب من قلوب بعض الغوانى الجميلات ، ولم يأت النساء بأثر يذكر فى ضروب الآداب ، فالنساء لم يؤلفن « الالياذة » ولا « الانياذ » ولا « القدس المنقذة » ولا « فيدر » ولا « أتالى » ولا « رودكون » ولا « الميزانتروب » ولا « تارتوف » ولا « زهرة دى ميديسيس » ولا « أبولون دى بلفيدر » ولا « البرسة » ولا « كتاب الأصول » ولا « خطاب التاريخ العام » ولا « تلماك » ، ولم يخترعن الجبر ولا المجاهر ولا المناظر ، ولا مضخة النار ولا صناعة الجوارب الخ ، وما قامت امرأة عالمة جديرة أن تعد بين العلماء . فالمرأة ليست فى حال تستطيع أن تفوق فيها الرجل إلا بأنوثتها ، وليست سوى قردة إذا أرادت مساواة الرجل

(البقية فى العدد القادم)

محمد كرد على

للتاريخ السياسي

عشرة أيام بئيسة

مشروع لافال - هور والرأى العام

دواعى هذه الخطة الوخيمة العواقب

للدكتور يوسف هيكل

شهد العالم خلال الثلث الثانى من شهر ديسمبر الماضى اضطرابا شديداً فى السياسة الدولية ، وقلقاً عظيما فى الدوائر السياسية ، نجما عن الانقلاب الفجائى فى سياسة بريطانيا الخارجية بموافقة وزير خارجيتها السير صمويل هور على سياسة مسيو لافال ، رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية ، وتوقيعه المشروع الذى وضعه لافال لحل المشكلة الحبشية عن طريق سلمية . ويعرف هذا المشروع بمشروع الصلح ، أو خطة السلام ، أو اقتراح لافال — هور ، أو اتفاق باريس

فحوى مشروع الصلح

فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ ديسمبر أبرق السير هور بمشروع الصلح الى سفيرى بريطانيا فى روما وفى أديس أبابا طالباً منهما أن يذهبا مع زميليهما الفرنسيين ليطلعا السنيور موسوليني والامبراطور على ما تم الاتفاق عليه بين حكومة جلالته والحكومة الفرنسية . وفحوى البرقية أن الحكومتين اتفقتا على أن يطلبا من الامبراطور قبول التغيرات التالية فى الحدود الايطالية الحبشية

١ — التيكرى — إعطاء ايطاليا التيكرى الشرقية ، وحدودها جنوباً نهر « خيطا » ، وغرباً خط يمتد من الشمال الى الجنوب ماراً بين اكسوم (فى الجانب الحبشى) ، وعدوه (فى الجانب الايطالى)

٢ — إعطاء ايطاليا مقاطعة « أجادن » وجعل الحدود خطا مبتدئاً من نقطة (ثلا) فى الحدود الحبشية والايطالية والصومال البريطانية ، وممتداً شمالا شرقياً قاطعاً « كوراهى » فى الشرق ، و « وارانادب » فى الغرب ، وملاقيا حدود الصومال البريطانية حيث يقطعها خط الطول ٤٥

٣ — إعطاء ايطاليا امتيازا اقتصادياً خاصا فى جنوب الحبشة يضع موارد هذا الاقليم فى قبضة ايطاليا ويسمح للايطاليين بالاقامة فيه . وتكون الأراضى غير المملوكة ملكا للشركات الايطالية ، على أن تبقى السيادة فى هذا الاقليم للأمبراطور

وحدود هذا الاقليم هى : الحدود الجديدة بين الحبشة والصومال الايطالى شرقاً ، وخط العرض ٨ شمالا ، وخط الطول ٣٥ غرباً ، والحدود بين الحبشة وكينا جنوباً

٤ — إعطاء الحبشة مرفأ « أساب » وممرا اليه على طول حدود الصومال الفرنسى

وفى ذلك التاريخ أرسل وزير خارجية بريطانيا برقية إلى السفير الانكليزى فى اديس أبابا طالباً منه فيه أن يبذل كل نفوذه فى اقناع الامبراطور على قبول « المشروع » وألا يرفضه دون أن يتأمله جلياً (١)

تطور الحوادث السياسية على المسارح الثلاثة

ذلك فحوى مشروع هور — لافال . وحين وقف الرأى العام الدولى عليه انثالت الاحتجاجات عليه إلى عصبة الأمم من جهات الدنيا الأربع ، وأخذت الحوادث تتطور ، واشتدت الأزمات السياسية ، وعلى الأخص فى باريس وجنيف ولندن

على مسرح باريس

غادر السير هور لندن إلى باريس يوم السبت الموافق ٧ ديسمبر . وفى منتصف الساعة الثامنة عشرة وصل « كى دورسى » ومعه المستر « كلارك » لمقابلة مسيو لافال . وفى الساعة التاسعة عشرة والدقيقة ٤٥ خرج من عنده . وعندما أنبأ لافال الصحافة أن الحكومتين على اتفاق ، تعملان معاً للوصول إلى خطة تحل بموجبها المشكلة الحبشية عن طريق سلمية

وقد تقابل الوزيران فى اليوم التالى ، ووصلا بعد المناقشة الى اتفاق وقعاه عن حكومتيهما . وفى صباح الاثنين الموافق ٩ ديسمبر تلقى مستر بلدوين رئيس الوزارة الانكليزية كتاباً من السير هور ، طالباً فيه موافقة الحكومة على اتفاق باريس ، وقد رأى بلدوين أن من الواجب عليه تأييد زميله الغائب ، فوافقت

الحكومة على مشروع هور — لافال [1] . وبهذه الموافقة تحملت حكومة بلدوين المسؤولية ، وابتدأت إذ ذاك عشرة الأيام البئيسة .....

فى الأيام التالية نشرت الصحف الباريسية مضمون الاتفاق بصورة غير رسمية ، فانقسم الرأى العام الفرنسى إلى فريقين : فريق يعضد الحكومة ويدافع عن « المشروع » واجدا فيه خير حل للمعضلة الحبشية ، وكثرة هذا الفريق من أحزاب اليمين والوسط ؛ وفريق آخر ينقم على اقتراح لافال — هور ، ويرى فيه الضربة القاضية لعصبة الأمم ؛ وللبقية الباقية من الثقة فى سياسة « السلام المشترك » . والناقمون هم أحزاب اليسار من اشتراكيين وكومنيست . وأخذ كل فريق يدعم رأيه ببراهينه وحججه ، ويدحض أقوال الآخرين على صفحات جرائده ؛ ومما لا شك فيه أن حجج المدافعين عن سياسة لافال الخارجية كانت واهنة لا تقوم على أساس قانونى . أما نظريات الناقمين على « اتفاق باريس » فكانت مبنية على دعائم قانونية وسياسية متينة ؛ وبخاصة ما كتبه الزعيم الاشتراكى مسيو بلوم فى جريدته « البيبولير » Populaire

أما موقف الحزب الراديكالى الاشتراكى فكان حرجا لاسيما موقف زعيمه « هريو » Herriot.

والحزب الراديكالى أقوى حزب فى مجلس النواب وهو مشترك فى حكومة لافال ؛ ورئيسه «هريو» وزير دون وزارة ، وقد فقد هذا الحزب شهرته فى البلاد بعد فضيحة ستافسكى وتخليه عن مسيو دومرج . والحزب يعلم أنه لا يستطيع فى ظروف مجلس النواب الحالية أن يؤلف وزارة ذات أكثرية . ورئيسه هريو لا يود أن يكون على رأس وزارة والانتخابات العامة على الأبواب . . . لهذه الأسباب يتحاشى مسيو هريو حدوث أزمة وزارية فى البلاد . ويجد نفسه مضطراً إلى معاضدة مسيو لافال ، على رغم مخالفته لسياسته الخارجية . وقد أفضى إلى حزبه بذلك قبل اجتماع مجلس النواب لمناقشة سياسة لافال الخارجية . فانقسم الحزب إلى فريقين ؛ فريق معه ، وفريق يرى من الضرورى تغيير سياسة لافال وإسقاطه بعدم الموافقة على مشروعه لحل المشكلة الحبشية . وكان من بين هؤلاء مسيو « كت » Cott

وفى صباح الثلاثاء الموافق ١٧ ديسمبر كان اجتماع مجلس النواب . وكان اجتماعا صاخباً مضطرباً شديد الجدل . وكان أهم المتكلمين فى تلك الجلسة ثلاثة : لافال وكُتْ وبلوم

نهض لافال وألقى خطابه فى جأش رابط متزن ؛ ودافع عن سياسته الخارجية ولا سيما « مشروع الصلح » . وأقوى حججه أن سياسة العقوبات ليست الطريق الوحيدة لحل المشكلة الحبشية ، وأن حصر إيطاليا اقتصاديا وعلى الأخص منع البترول عنها مما يقود أوربا إلى حرب لا تعرف نتائجها ، وأن روح مبادىء عصبة الأمم توجب حل كل خلاف عن طريق سلمى إن أمكن ، وأن الخطة التى وضعها لايقاف الحرب فى الحبشة تتمشى مع مبادىء عصبة الأمم (!) ...

ومسيو كت يرى غير ما يراه مسيو لافال : يرى فى اتفاق باريس هدم مبادىء العصبة ، إذ هى تقدم إلى المتعدى مكافأة على تعديه ومخالفته واجباته الدولية . ومسيو لافال بعمله هذا يقدم سابقة إلى عصبة الأمم لتحل بموجبها التعدى الذى سيحصل على شرق أوربا الوسطى . وبذلك يكون لافال قد ساعد الهرهتلر وجرأه على أن يحذو حذو موسولينى ! . وقد هاجم مسيو كت لافال وقال إن عمله هذا ليس إلا تقسيما للحبشة وجعلها فريسة المتعدى ، وهذ العمل مخجل لفرنسا ...

وقد لاحظ لافال أن الجو مكفهر وأن النقاش إن دام ربما أدى إلى سحب الثقة منه ؛ فطالب تأجيل النقاش على سياسته الخارجية إلى يوم الجمعة الموافق ٢٧ منه . ولافال ماهر فى أصول المراوغات البرلمانية ؛ يعرف كيف يتخلص من المآزق الحرجة ، فانه بطلبه هذا قد حول المناقشة من مواجهة سياسته إلى البحث فيما إذا كان من الصواب تأجيل المناقشة كما يطلب أو المضى فيها ؛ وكان على رأس القائلين بوجوب المضى فى المناقشة مسيو بلوم الزعيم الاشتراكى . ورغم فصاحته وقوة حجته وافق المجلس على تأخير المناقشة بأكثرية ٥٢ صوتاً . ومما تجدر ملاحظته أن الكثرة التى كانت فى جانب الحكومة هبطت إلى ما يقرب من مائة نائب بانضمام كثير من الراديكاليين إلى فريق المعارضة

(١) تامس ٢٠ ديسمبر . من خطاب بلدوين

وبجمل القول أن مسيو هريو الزعيم الراديكالي لم يشترك في المناقشة ، ولم يبد حركة ما تدل على أنه يؤيد فريقا على آخر (١) ... ...

وفي اليوم التالي ذهب لافال إلى جنيف ...

على مسرح جنيف

في يوم الأربعاء الموافق ١٨ ديسمبر كان اجتماع مجلس عصبة الأمم : فقام مستر إيدن ولم يدافع عن مشروع لافال - هور - . . بل قال إن الحكومتين وضعتا هذا المشروع وللمجلس أن يرفضه أو يقبله ؛ والحكومة البريطانية ليست مرتبطة به ...

ثم نهض مسيو لافال وقال إن عمله هو وزميله السير هور كان بموجب السلطة التي أعطيت للحكومتين لايجاد حل سلمي للمعضلة الحبشية . . . وللمجلس أن يقول الكلمة الأخيرة في الاقتراح ...

وقبل فض الاجتماع العام قام سكرتير المجلس وألقى تصريح حكومة الحبشة وهو مؤلف من « ٥٠٠٠ » كلمة ومبني على نقط قانونية ترى إلى أن اقتراح باريس مخالف كل المخالفة لمبدأ العصبة

وقد قابل الأعضاء المشروع بمعارضة شديدة ... وجاء في المناقشة أن السلطة التي خولت إلى بريطانيا وفرنسا لايجاد حل سلمي قد انتهت ، وكل عمل من هذا القبيل يعود إلى مجلس العصبة أو إلى هيأتها العامة - وكان هذا ردا على ادعاء لافال -

وفي اليوم التالي قرر المجلس بأسلوب - دبلوماسي دولي - رفض المشروع

على مسرح لندره

أخذت الصحف الانكليزية تنقل أخبار اتفاق باريس ومحتوياته عن الجرائد الفرنسية ، وأخذت الجرائد التي كانت تناصر الحكومة وعلى رأسها التيمس تعارضها وتظهر سخطها على المشروع ، وأخذت جرائد المعارضة تهاجم الحكومة مهاجمة عنيفة وتصفها بأوصاف قاسية منها الجبن وخيانة الشعب وعصبة الأمم والحبشة ...

وفي اجتماع مجلس النواب الذي عقد في العاشر من ديسمبر دافع مستر بلدوين عن خطة باريس وقال : لو كنت أستطيع أن أميط اللثام عن المشاكل التي تعترضنا ، لما كان هناك رجل من أي هيئة ومن أي حزب يعارضنا ...

ومع ذلك أخذ يزداد عدد الثائرين من حزب الحكومة ، مظهرين سخطهم على سياسة الحكومة الجديدة ؛ وأخذ آخرون يبدون قلقهم من موقف الحكومة الشاذ . فحدث من جراء ذلك انشقاق عظيم في حزب الحكومة . وانقسم أعضاء الوزارة إلى قسمين : قسم مع بلدوين وقسم غير راض عن « اتفاق باريس » ومن بينهم مستر إيدن الوزير لدى عصبة الأمم إذ ذاك ، وقد صرح بذلك في جنيف في الثالث عشر من ديسمبر

ومن الرجالات البارزين الذين عارضوا المشروع في حزب الحكومة السير أوستن شمبرلين : فقد اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية التي يرأسها هو في ١٧ منه لدرس « اتفاق باريس » وإبداء رأيها فيه . وصرح السير أوستن أنه غير راض عن « الاتفاق » ولا يقبله مهما كان تشبث الحكومة به ... فتبعه أعضاء اللجنة ... وكان ذلك صدمة عنيفة لمستر بلدوين .

أما الصحافة فقد أخذ يشتد نقدها للحكومة ، طالبة منها بلهجة عنيفة التخلي عن « المشروع » والعودة إلى السياسة السابقة ، سياسة جنيف والسلام المشترك :

أمام ثورة الرأي العام العالمي على اقتراح هور - لافال ، وأمام رفض الأمبراطور « المشروع » وتردد موسوليني في قبوله ؛ وأمام هجمات الحزب المعارض العنيفة وأمام انقسام حزبه عليه ؛ أمام امتعاض الرأي الانكليزي من تخليه عن العصبة وسياسة السلام المشترك ، وأمام ثبات العصبة ورفضها « الاقتراح » ؛ أمام كل هذه الصعوبات رأى مستر بلدوين أنه لا يستطيع أن يسير خطوة إلى الأمام بسياسته الجديدة ؛ فقرر أن يكون على رأس القائلين بعدم قبول الاقتراح ! . فدعا السير صموئيل هور من سويسرا . وجمع أعضاء وزارته في ١٨ ديسمبر وقرر التخلي عن هور ورفض اتفاق « باريس »

وفي هذا التاريخ قدم السير هور استقالته فقبلها مستر بلدوين

وفي يوم الجمعة الموافق ١٩ ديسمبر كان موعد اجتماع مجلس اللوردات ومجلس النواب لمناقشة اقتراح هور - لافال ، وكان الجميع متفقين على التخلي عن « اتفاق باريس »

كان اجتماع مجلس النواب غير عادي : فقد حضره البرنس

---

(١) في مساء ١٨ ديسمبر استقال مسيو هريو من رئاسة الحزب الراديكالي الاشتراكي

أوف ويلز وحضره السفراء . . . وبعد إلقاء الأسئلة والاجابة عليها قام السير صمويل هور مبيناً الأسباب التي قادته إلى توقيع الاقتراح ، ومما قاله إنه كان أمام عينيه هدفان :

« اتقاء حرب أوروبية والحيلولة دون نشوب حرب منفردة بين إيطاليا وبريطانيا

« إن منع البترول عن إيطاليا ربما يؤدي إلى هزيمة إيطاليا وخسرانها الحرب الحبشية ، وعند ما تجد نفسها في هذا الوضع الذليل تقوم بمهاجمتنا ، وعندئذ تنشب الحرب بينها وبيننا دون أن ينهض لمساعدتنا أحد ، إذ لم تتقدم دولة ما الى الآن باخرة واحدة ولا جندي واحد في سبيل الأمن المشترك ؛ والرأي الفرنسي ضد الحرب ولا يريد أن يتورط في مشاكل جديدة ...

« لهذا اضطررت وأنا في باريس إلى أخذ قرار عاجل لأن مسألة البترول لا يمكن تأجيلها إلى تاريخ آخر

ثم أخذ يدافع عن مواد الاتفاق بحجج واهية . . .

أما مستر أتلى « Attlee » رئيس حزب العمال فقد طلب رفض « اتفاق باريس » ، وأثبت أن مسؤولية الحكومة لا تزول باستقالة السير هور . ثم أخذ يسائل الحكومة :

ما فائدة الابتداء في العقوبات إذا كان أمرها سيهمل عند مجابهة أي خطر ؟ ! . لماذا صرح في شهر أكتوبر بأن العمل المشترك مفيد وفي شهر ديسمبر أنه غير مفيد ؟ ! إذا كان يوجد الآن خطر عظيم فخير من الوقوف بجانب المتعدي أن يقال بأن العصبة قد فشلت . . .

ثم ألقى مستر بلدوين كلمة طويلة شديدة ، صرح فيها بأن اتفاق باريس قد قضى عليه تماماً ، وطلب من حزب الحكومة معاضدته ، وأعلن بأن الحكومة عائدة إلى العمل المشترك ضمن مبادىء جنيف . . .

وقال اللورد هارتنكتن « Hartington » : إن « عشرة الأيام البئيسة » قد انتهت

وقد ختم النقاش في كلا المجلسين بقبول وجهة النظر القائلة بأن الحكومة قد ارتكبت غلطة فادحة في توقيعها « مشروع الصلح » . وأنها بعملها هذا تقضي على النية الخالصة والأمل القوي في نظام السلام المشترك

وقد جاء خطاب السير نفيل شمبرلين الذي ألقاه في برمنجهام مساء ٢٠ ديسمبر مؤيداً لتصريح الحكومة ، ومما قاله :

« . . . هذه الاقتراحات قد ماتت إلى غير بعث ؛ وإنني أعتقد الآن بأن كل سعي للوصول إلى حل سلمي فاشل »

« فيجب أن نعود إلى سياسة العقوبات . . . »

وإن تعيين مستر إيدن وزيراً للخارجية لدليل ساطع على أن الحكومة عائدة إلى السياسة التي تحدث عنها السير شمبرلين

على أن الحكومة البريطانية لا تود العمل منفردة ، ولذلك أخذت تفاوض أعضاء عصبة الأمم الذين على البحر الأبيض المتوسط ، ولقد أجاب حتى الآن كل من تركيا واليونان ويوجوسلافيا بأنهم على استعداد لمساعدة بريطانيا وللعمل على مبدأ عصبة الأمم . . .

(البقية في العدد القادم) **يوسف هيكل**

دكتور في الحقوق من (حكومة فرنسا)

فى ميـــدان الاجتهاد

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية بالأزهر

— ١ —

كيف منع الاجتهاد

ينشد المسلمون الاصلاح فى هذا العصر ، وتنشده جامعتهم الأزهرية الكبرى فى مصر ، ويعالجون فى سبيل ذلك طرقاً ملتوية يمشون فيها إلى أن تنتهى بهم إلى أسوأ مما كانوا فيه ، فتعلو كلمة الجامدين بالرجوع إلى قديمهم الممقوت ، ويوافقهم على ذلك بعض من يتظاهر بحب الاصلاح إذا أقبل عهده ، ويخفى فى قلبه كرهه وبغضه . ولو أنعم هؤلاء الناس النظر لرأوا الذنب فى ذلك يرجع إلى تلك الطرق الملتوية ، لا إلى الاصلاح المنشود الذى دعا إليه جمال الدين الأفغانى والأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وغيرهما من كبار المصلحين فى هذا العصر .

وهذا الاصلاح المنشود يتلخص فى كلمتين : فتح باب الاجتهاد فى علومنا عامة والعلوم الدينية منها خاصة ، وتأليف كتب جديدة فى هذه العلوم تسرى فيها روح الاجتهاد بدل تلك الكتب الميتة الجامدة ؛ أما ماعدا ذلك من أمور الاصلاح فمن الأمور الكمالية التى ضرنا الاهتمام بها أكثر من هذه الأمور الأساسية

ولست بسبيل الكلام فى هذا الاصلاح فقد قطعت شوطاً من حياتى فى الجهاد فيه ، حتى آل الأمر بنا إلى تلك الطرق الملتوية ، ووجدت فى ذلك غرائب وعجائب صرفتنى عن العناية بذلك الأمر إلى أمور أخرى من العلم والأدب ؛ وقد حاورت فيها أناساً آخرين وحاورونى ، فوجدت علماء الأدب أكرم الناس أخلاقاً ، وأسلمهم طوايا ، وأطهرهم أقلاماً ، ووجدت الخير فيهم مرجواً ، والشر منهم مأموناً ؛ ولست أدرى وقد تركتهم إلى هذا الموضوع الدينى الخطير أأجد أقلاماً مثل أقلامهم ، ونفوساً سمحة مثل نفوسهم ، أم أجد النفوس لا تزال على عهدى بها ، وإن تظاهرت بحب الاصلاح والانتصار له ؟ وقد أكون مخطئاً فى ظنى ، وأرجو من الله أن أكون مخطئاً فيه ، وأن نكون قد بدلنا نفوساً أخرى تبحث مثل هذه الأمور المهمة فى هدوء ، وتعرف الصواب للمصيب فلا تحسده عليه أو تتعامى عنه ، وتحسن الظن بمن يطلب الصواب فيخطئه طريقه ، فتأخذه بالتى هى أحسن ، حتى يعرف خطأه واضحاً فيرجع عنه ، ويشكر للذى دله عليه

وهكذا كان حال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . كان باب الاجتهاد بينهم مفتوحاً على مصراعيه لا يحمل أحد منهم بسببه ضغينة على أخيه ، ولا يحاول قهره على موافقته فى رأى خالفه فيه ، إلى أن نبتت فتنة الخوارج المعروفة ، ولعبت السياسة بعقول الناس فيها ، فكانوا أول من سن فى الاسلام أخذ المخالف فى الرأى بوسائل القهر ؛ ثم تتابعت الحوادث وأتى عصر بنى العباس فرأوا من الأئمة المجتهدين فى عصرهم انكماشاً عن سلطانهم فأخذوا ذلك عليهم ، وجعلوا يصطنعون الوسائل لايذائهم ، فآذوا فى ذلك أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الجماعة ، وصاروا ينصرون عليهم خصومهم من المعتزلة ، واستباحوا فى ذلك ما استباحوا من الحجر على حرية الرأى ، وتعذيب المخالف لهم فيه بالسجن والضرب والقتل ، وبلغ ذلك شدته فى مسألة خلق القرآن المعروفة

وكان التعليم من أول الاسلام يتخذ المساجد دوراً له ، فتتولاه الرعية بعيدة عن الحكومة ، كما تتولاه الأمم الآن فى الشعوب الراقية فى أوربا وأمريكا . وينشأ التعليم فى كنفها حراً لايتأثر بهوى حاكم ، وينشأ رجاله أحراراً لا تلين قناتهم لظالم

وقد أخذ حكام المسلمين فى آخر الدولة العباسية يدخلون فى أمور التعليم ليكون لهم نفوذ عليه ، وسلطان على رجاله ، فأنشأوا له المدارس الخاصة به ، وحبسوا عليها من الأوقاف الكثيرة ما رغب العلماء والمتعلمين فيها ، وجعلهم يتنافسون على أبواب الملوك والحكام من أجلها ، فضاعت كرامة العلم والعلماء ، وخضع أهله لمن بيدهم أمر تلك المدارس والأوقاف

ومن أقدم ما بنى فى الاسلام من المدارس المدرسة البيهقية المنسوبة إلى البيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والمدرسة السعيدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود حين كان واليا بها ، والمدرسة النظامية التى بناها الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه ببغداد سنة ٤٥٩هـ واحتفل بافتتاحها يوم السبت عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، وجمع الناس على طبقاتهم ليحضروا دروس الشيخ أبى إسحاق

الشيرازى ، فجاء الشيخ ليحضر فلقيه صبي فى الطريق ، فقال ياشيخ كيف تدرس فى مكان مغصوب ؟ فرجع الشيخ واختفى . فلما يئسوا منه ذكر الدرس بها أبو نصر الصباغ

ولما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب مصر لم يكن بها شيء من المدارس ، فبنى بها المدرسة الناصرية لتعليم المذهب الشافعى سنة ٥٦٦ هـ ثم بنى المدرسة الصلاحية بالقرافة الصغرى سنة ٥٧٢ هـ مجاورة للامام الشافعى رضى الله عنه ، وجعل لناظرها أربعين دينارا فى كل شهر ؛ ورتب له فى كل يوم ستين رطلا من الخبز ، وراويتين من ماء النيل ؛ ثم بنى أخرى مجاورة للمشهد الحسينى ، وجعل دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفية

وكان من دواعى إنشاء هذه المدارس تأييد المذاهب التى كان السلاطين يشتدون فى نصرتها ، كما فعل صلاح الدين حين استولى على مصر ، فقد حارب فيها مذهب الشيعة الفاطميين الذين حكموا مصر قبله ، وكانت دروس هذا المذهب تاقى فى الأزهر وغيره من مساجدهم ، فأبطل هذه الدروس ، وأحيا مذهبي الشافعى ومالك وبنى لهما كثيراً من المدارس

وفى هذه المدارس أقفل باب الاجتهاد ، وقبرت المذاهب الفقهية عدا هذه المذاهب الأربعة الباقية ؛ وقد كانت هناك مذاهب كثيرة لأهل السنة والجماعة بقى بعضها إلى القرنين السابع والثامن الهجريين ؛ ومن هذه المذاهب مذهب البصرى والثورى ولم يطل العمل بهما لقلة اتباعهما ؛ ومنها مذهب الأوزاعى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثانى للهجرة ؛ ومنها مذهب أبى ثور ، وقد بطل العمل به بعد القرن الثالث ؛ ومنها مذهب ابن جرير الطبرى ، وقد بطل العمل به بعد القرن الرابع ؛ ومنها مذهب الظاهرى ، وقد طالت مدته وزاحم المذاهب الأربعة حتى جعله المقدسى فى أحسن التقاسيم رابع المذاهب فى زمنه (القرن الرابع) بدل الحنبلى ، وذكر الحنبلية فى أصحاب الحديث ، وعده ابن فرحون فى الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها فى زمنه (القرن الثامن) ؛ ثم درس بعد ذلك ولم يبق لأهل السنة والجماعة إلا المذاهب الأربعة . وذكر ابن خلدون أن الظاهرى درس بدروس أئمته ، وإنكار الجمهور على منتحله ، ولم يبق إلا فى الكتب ، وربما يعكف متكلفو انتحاله عليها لأخذ فقههم منها ؛ فلا يحلون بطائل ، ويصيرون إلى إنكار الجمهور عليهم

وهكذا أخذت المذاهب الأربعة تتغلب مع الزمن على غيرها من هذه المذاهب حتى تم لها التغلب عليها فى القرن السابع الهجرى . وأخذ فقهاء هذه المدارس تبعاً لهوى أصحابها من الأمراء يتعصبون لها ، ويفتون بوجوب اتباعها . قال المقريزى فى خططه : « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة ، وهم شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥هـ حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الأربعة ، وعقيدة الأشعرى ، وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط فى سائر ممالك الاسلام ، وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ؛ ولم يول قاض ، ولا قبلت شهادة أحد ، ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب . وأفتى فقهاء هذه الأمصار بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ماعداها ، والعمل على هذا الى اليوم »

وإذا لم يكف هذا الاجمال فى بيان ما أتت به يد السياسة من وسائل القهر والاغراء فى احياء بعض هذه المذاهب وإماتة بعضها ، ومحاربة الاجتهاد إلى حد القضاء عليه فى تلك المدارس ، فانا نسوق مثلاً من ذلك فى المدرسة المستنصرية التى أمر بانشائها المستنصر بالله العباسى ، وشرع فى ذلك سنة ٦٢٥ هـ وقد تكامل بناؤها سنة ٦٣١ هـ وأنفق عليها أموالاً كثيرة ، واحتفل بافتتاحها فى تلك السنة احتفالاً عظيماً حضره بنفسه ، وحضره نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرباء ، واختير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفساً ، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس ؛ وكان المدرسان محيي الدين محمد بن يحيى بن فضلان الشافعى ، ورشيد الدين عمر بن محمد الفرغانى الحنفى ؛ وكان نائباها جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف بن الجوزى الحنبلى ، وأبا الحسن علياً المغربى ؛ وجعل لها معيدون لكل مذهب أربعة ، وقسمت إلى أرباع ، فجعل ربع القبلة الأيمن للشافعية ، وجعل ربع القبلة الأيسر للحنفية ، وجعل الربع الذى على يمين الداخل للحنابلة ، وجعل الربع الذى على يساره للمالكية . وقد شرط المستنصر فى وقفه عليها أن يكون عدة فقهائها ثمانية وأربعين

ومائتى فقيه ، من كل طائفة اثنان وستون ، بالمشاهرة الوافرة ، والجراية الدارة ، واللحم الراتب ، إلى غير ذلك من وسائل الاغراء التى لم تتح لغير هذه المذاهب . وقد كان قبر الاجتهاد فى هذه المدرسة ، وحجر النظر فيها على العلماء بهذا الشكل

فى سنة ٦٤٥ هـ أحضر مدرسوها إلى دار الوزير ، فتقدم اليهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ، وألا يلزموا الفقهاء بحفظ شىء منها ، بل يذكروا كلام المشايخ تأدباً معهم ، وتبركا بهم . فأجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة . وقال سراج الدين عبد الله الشرمساحى مدرس المالكية : « ليس لأصحابنا تعليقة ، فأما النقط من مسائل الاختلاف فما أرتبه » . وقال شهاب الدين الزنجانى مدرس الشافعية ، وأقضى القضاة عبد الرحمن بن اللمغانى مدرس الحنفية : « إن المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال » فكانا أفضل القوم إجابة . ثم أوصل الوزير أمر ذلك إلى المعتصم بالله ، وكان قد ولى أمر الدولة بعد أبيه المستنصر ، فتقدم اليهم أن يلزموا ذكر كلام المشايخ واحترامهم فأجابوه بالسمع والطاعة . وذهب إباء مدرسى الشافعية والحنفية فى الهواء . ولو أنهما استمرا على إبائهما لكان جزاؤهما القتل أو نحوه

ونستطيع بعد هذا أن نحكم بأن منع الاجتهاد لم يتم إلا فى عصور الظلم ، وبأن قصر الناس على هذه المذاهب الأربعة حصل بوسائل غير مقبولة من القهر والاغراء . وفى يقيننا أنه لو أتيح لغير هذه المذاهب ما أتيح لها من تلك الأوقاف والرواتب لكان حظها من البقاء مثل حظها ، ولبقيت معروفة مقبولة ممن يجهلها اليوم أو ينكرها

وقد حوولت هذه الوسائل لالزام الناس بهذه المذاهب قبل هذه العصور فلم يرض بهذا المسلمون حتى أصحاب هذه المذاهب . روى أبو نعيم فى الحلية عن مالك بن أنس أنه قال : شاورنى هارون الرشيد فى أن يعلق الموطأ فى الكعبة ويحمل الناس على ما فيه ؟ فقلت لا تفعل ، فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى الفروع ، وتفرقوا فى البلدان ، وكل مصيب . فقال وفقك الله تعالى يا أبا عبد الله

وروى ابن سعد فى الطبقات عن مالك بن أنس قال : لما حج المنصور قال لى قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التى وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم

فنحن إذن فى حل من أمر هذه المذاهب التى فرضت علينا فرضا ، وفى حل من ذلك الحظر على الاجتهاد فى أحكام ديننا ، لأنه أتى بطريق القهر ، ولم يتم برضا المسلمين وتشاورهم ، وإنما أمر المسلمين كما حكم الله تعالى شورى بينهم

عبد المتعال الصعيدى

٨ــ معركة عدوى

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

تتمـــــة

وأراد الجنرال «باراتيرى» أن ينسحب الى « أديكايه » ليقصر خط المواصلات إلا أنه لم يجسر على ذلك خوفاً من تأنيب رومة فقرر القيام باستطلاع تعرضى فى اتجاه نهر مارب شأن كل قائد متردد . وكان يرمى بذلك الى وقف حركات الأحباش فى اتجاه فوندت وأسمره ، وبعد أن تأهبت الفصائل للحركة سحب أمره . ولا شك فى أن هذه الأوامر المتناقضة مما أزال اطمئنان الفصائل وجعلها تخشى العاقبة

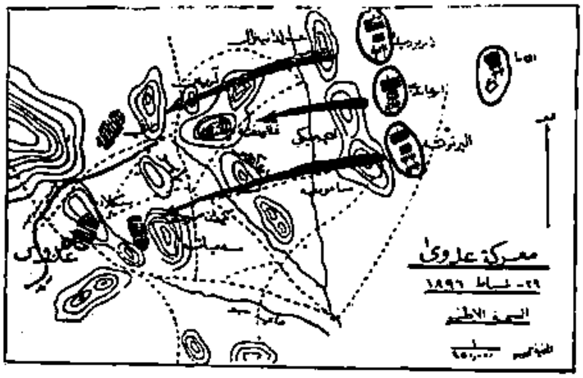
ومما زاد الموقف حروجة قلة الأرزاق . وكلف مدير السيرة والتموين الجنرال بتقليل مقـدار الأرزاق اليومى للجنود لأن مواد التموين لا تكفى وأن القوافل أخذت تتأخر والكثير منها يقع فى أيدى الثوار ، فاضطرت القيادة إلى تقليل أرزاق الجندى اليومى ، وكان الجندى الأهلى يأخذ قليلا من الشعير ، ويفضل الدراهم مقابل الأرزاق الباقية ، الا أن الأرزاق كانت مفقودة . وتناول الضباط الأرزاق كالجنود . وأخيرا أضاف القائد العام خطيئة إلى خطيآته السابقة فكانت نذير الخذلان . فانه عقد مجلساً حربياً واستشار القواد فيما يعمل ، ومعنى ذلك أنه أراد أن يلقى تبعة الحركات عن عاتقه وكان هو المسؤول الوحيد عنها

والظاهر أن القائد العام كان يخشى حساب رومة بعد أن تلقى تلك البرقيات المرة منها ، وكان قرار أعضاء أكثرية المجلس القيام بالهجوم وعدم الانسحاب لأن البقاء فى ادجرات يسبب مجاعة الجيش ، ولأن الأرزاق كانت على وشك النفاد برغم تقليل مقاديرها اليومية ، لأن القوافل أمست لا تصل بانتظام . أما الانسحاب إلى الوراء فلم يكن من شك فى أنه أحسن تدبير لتقصير خط المواصلات وتموين الجيش بصورة منتظمة ، وبعد أن يتقوى بالنجدات المرسلة من ايطاليا وتكمل التدابير الادارية وينتظم سوق التموين والذخيرة يتقدم للهجوم بخطوات ثابتة متينة ، بيد أن القائد العام والقواد الآخرين لم يكن لديهم من حب التبعة (المسؤولية) ما يجعلهم يتخذون هذه الخطة

وفى الوقت الذى قرر المجلس الحربى فيه القيام بالهجوم وردت البرقية التالية من رومة إلى القائد العام :

« رتب الجيش بحيث يقوم بالهجوم ويقاوم هجوم العدو »

ومعنى ذلك أن الحكومة الطليانية لم توافق على الانسحاب وأنها تريد المقاتلة مهما كانت النتيجة



نشوب المعركة

يظهر لنا مما تقدم أن أحد الفريقين المتحاربين شعب متوحش ملتف حول ملكه ومتعطش للقتال ، ويعرف بلاده ، ومستعد للاستفادة من جميع ظاهراتها للضربة القاضية على عدوه ، وعلى رأسه ملك يعرف كيف يستفيد من رجاله ، فاستطاع بدهائه وحنكته أن يحصل على العدد الكافى من السلاح ، ويجمع الأحباش حوله ويقودهم الى ميادين القتال

أما الفريق الآخر فيجهل أحوال البلاد ، وهو غير قادر على تحمل مناخها ، وقد أساء قواده قيادته ، فلم يضمنوا له ما يحتاج اليه من مواد التموين وأسباب الراحة التى تمكنه من القتال فى هذه البلاد القاسية . وقد أدى التردد فى التنفيذ الى زوال اعتماد الجنود على ضباطهم والضباط على رؤسائهم

والواضح من هذا أن المعركة سوف تنشب فى ظروف غير متعادلة ، وقد لا يفيد التدريب المتقن والأسلحة الحديثة فى التغلب على كثرة الأحباش المتشوقين الى القتال

والغريب فى أمر هذه الحركات أن القيادة العامة كانت لا تملك خريطة صالحة تساعدها على وضع الخطط العاجلة . ومن

الضروري معرفة حالة الأرض لتسيير القوات عليها . فالخطيئة التي ارتكبت في الحركات السوقية سوف يزداد شمولها بالخطأ في التعبئة ، وهذا النقص مما سبب تسيير الأرتال في ميدان المعركة بحيث لا يستطيع بعضها مساعدة بعض ، وذلك مما جعل القيادة الحبشية تغتنم الفرصة وتنقض برجالها على الأرتال وتقضي عليها على التعاقب

عسكرت القوات الطليانية في ٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦ في « صورية » وكانت القوات كما نعلم مؤلفة من أربعة ألوية بقيادة حاكم المستعمرة العام الجنرال « باراتيري » ، وكان قواد الألوية الجنرال البرتونه والجنرال دابورميدا والجنرال أرعوندي والجنرال اللانا

وكانت الأوامر الصادرة من معسكر « صورية » ترمي إلى تحريك القوات في الساعة التاسعة على ضوء القمر في اتجاه « عدوى »

وكان يؤدي إلى عدوى طريقان ، وهما طريق شمالي وطريق جنوبي ، وكلاهما عتد في منطقة وعرة فيمر الطريق الشمالي بمضيق (رابي أريان) ، والطريق الجنوبي بمضيق « شدان موت » قبل وصولها الى عدوى ، وبين الطريقين جبل « راجو » الوعر الذي لا يمكن تسلقه لشدة انحداره وللصخور المكدسة فيه .. وتبلغ المسافة بين المضيقين أكثر من خمسة عشر كيلو متراً . فالتقدم على هذين المضيقين يجعل الأرتال الطليانية معرضة لهجمات القوة الحبشية المتمركزة حيث تتحرك على الخطوط الداخلية ، وبلغ الجنرال « بارانيري » أوامره مقتنعاً بأن الأرتال بعد اجتياز المضايق يجتمع بعضها ببعض وتتقدم نحو العدو . إلا أن هذا الاقتناع لم يصح ، وقد يأمل هذا القائد النصر إذا جمع الرتلين في شرق جبل (راجو) واستفاد بعد ذلك من كثرة المدافع

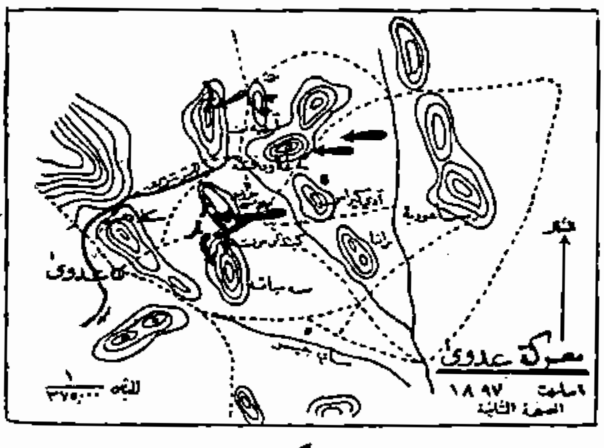
وبدلاً من تقسيم الألوية على الرتلين وتسيير لوائين في كل رتل لكي يكون لكل منها القوة الكافية لمقابلة العدو تقدمت الألوية على الترتيب التالي :

لواء البرتونة في الجنوب نحو مضيق « شدان موت » ، ولواء « دابورميدا » في الشمال نحو مضيق « رابي أريان » أما لواء « أرعوندي » في القلب ، وبقي لواء اللانا في الاحتياط إلى الوراء ، ولما وصل لواء « أرعوندي » إلى سفح الجبل رأى أن لا طريق له . فوجه الجنرال « باراتيري » إلى الشمال وراء لواء « البرتونة » أما لواء « اللانا » فسار في المؤخرة وراء « البرتونة » . وهكذا تكدست ثلاثة ألوية على طريق واحد بينما بقي لواء في الجنوب

والحقيقة ان مضيق « رابي اريان » لم يكن فيه مجال لانفتاح لواء واحد ، وكان اللواءان يتقدمان بصعوبة نحو المضيق ، وذلك يجعل لواء « اللانا » يتأخر في الوراء بطبيعة الحال

وكان القسم الأكبر من لواء « البرتونة » من الأهلين ، وتقدم اللواء ليلا على ضوء القمر ، وكان الجنود يسيرون بنشاط ، بينما كان الأحباش يترقبون اقترابهم بفارغ الصبر ، وكانت طلائعهم تنسحب أمام هذا اللواء دون أن تحرك ساكناً

وعلى ما يظهر كان النجاشي ينتظر مرور هذا اللواء من المضيق وابتعاده عن الرتل الشمالي لينقض عليه ملتفاً حوله من كل جهة . واعتمد قائد اللواء على الخريطة غير الصحيحة فأراد أن يريح لواءه في رابية بعد اجتياز المضيق ظناً منه أن الرابية تسيطر على الأرض في شرق المضيق . ولما وصل الى الرابية باغت الأحباش لواءه من كل جانب وهاجموه بحرابهم وخناجرهم



وفي الساعة السابعة صباحاً سمع الجنرال «باراتيري» صوت النار من الجنوب فكلف لواء « دابورميدا » بنجدة « البرتونة » عندما يجتاز المضيق ، بيد أن الأحباش كانوا قد احتلوا الوديان والروابي في جنوبي مضيق « رابي اريان » فاضطر « دابورميدا » الى مقاتلتهم ، الا أنه بعد مدة قصيرة رأى نفسه أمام قوة فائقة من الأحباش أحاطت بجانبه فألجأته الى الوقوف للدفاع

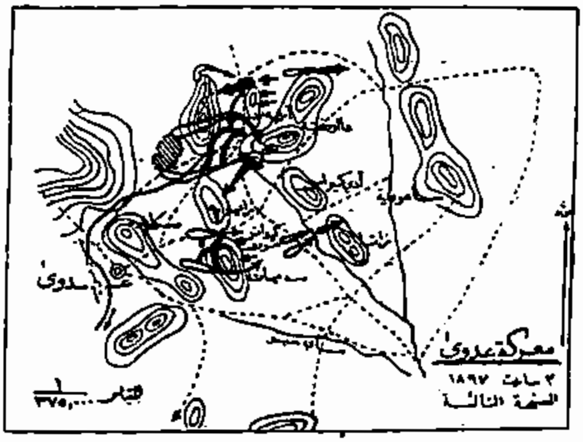
ولما علم « باراتيري » أن لواء « دابورميدا » أيضاً اشترك

فى القتال وتأكد أنه لا يستطيع نجدة « البرتونة » أمر لواء « أرعوندى » بألا يعقب لواء « دابورميدا » بل يتوجه رأساً إلى الجنوب لمساعدة « البرتونة »

ولما اجتاز هذا اللواء المضيق وتوجه إلى الجنوب وصل المهزومون من لواء البرتونة إلى رأس الرتل فعلم منها أن الأحباش قضوا على اللواء بالاحاطة به من كل جانب وأن قائده قتل فى المعركة ، فتقدم اللواء فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، وكان لواء « اللانا » يسير وراءه ، إلا أن وعورة الأرض وكثرة الوديان والأخاديد فيها عرقلت المسير

وكان الأحباش قد كمنوا لهذا اللواء مستفيدين من الوديان والأخاديد ، فلما اقترب اللواء منهم باغتوه من كل جانب ، ثم أعادوا الكرة على لواء « اللانا » فكانت مباغتة هائلة ، وكان قتال وجهاً لوجه ، فلم تستطع المدفعية مساعدة المشاة لاختلاط الحابل بالنابل . وكان بعض المدافع فى المؤخرة فلم تستطع تلك المدافع أن تسلك الروابى لدخول الموضع . وكلما تقدمت قوات الاحتياط لنجدة الخط الأول كان الأحباش يحيطون بها ويشتتون شملها . وعقب هذا القتال الشديد انسحاب ، ولكن لا على الصورة المعروفة بل كان أشبه بالهزيمة . فترك المشاة المدافع وولوا هاربين فى طلب النجاة ، فتكدسوا على الطرق وفى المضايق وفى الوديان فلم يسلم منهم إلا القليل

أما لواء « دابروميدا » فبقى وحده يقاتل الأحباش ويظهر أن القوة التى هاجمته لم تكن كبيرة فقاتل إلى المساء بعد أن فقد قائده وانسحب بصعوبة فى اتجاه آخر . أما القائد العام فلما رأى النكبة التى حلت بجيشه أصدر أمر الانسحاب فى الساعة الحادية عشرة وأسرع مع أركان حربه منسحباً إلى موقع « عدى كيه » البعيد عن ميدان القتال مسافة ٧٠ كيلو متراً فكان ذلك فراراً لا انسحاباً



وبلغت خسائر الجيش الطليانى فى هذه المعركة مايلى :

جنرالان مقتولان وهما « دابورميدا » و « إرعوندى »

وأخذ الجنرال « البرتونة » أسيرا

زعيمان من سبعة زعماء مقتولان وزعيم فى الأسر

خمسة عشر قائد فوج (من أربعة وعشرين) قتلى

والخلاصة أن مجموع الخسائر من قتيل وجريح وأسير بلغ ٢٨٤ ضابطا و ١٥،٤٠٠ جندى . أما الذين نجوا فكانوا ٢٦٢ ضابطاً و ٤٣٦٩ جندياً منهم ٢٧٦ جريحاً

انتهى

طه الهاشمى

علماؤنا المجهولون

عبد الرءوف المناوى

٩٥٢ — ١٠٣١ هـ

للأستاذ محمد ابراهيم العفيفى

للسائر فى شارع باب البحر بالقاهرة أن يعرج على حارة سيدى مدين ليرى بناء متهدماً درست معالمه إلا من جدران قائمة حول مقام وزاوية ومدرسة أهملتها جميعاً وزارة الأوقاف كأنها لا تدرى أنه لفخر العلماء وإمام المحدثين ومن تصدى للافتاء يوما ما، ومن أكب على الدرس والتأليف حتى قاربت تآليفه المائة: ذلك مقام سيدى عبد الرءوف المناوى

عصره :

انتهى القرن العاشر الهجرى والدولة العثمانية تبسط سلطانها على كثير من البلاد الشرقية، فكان لزاما أن تكون الطبقة الحاكمة فى مصر عثمانية، وأن تكون اللغة المتداولة بين الأوساط الراقية تركية، يشجعها الحكام ويساعدون على انتشارها بشتى الأساليب؛ فلغة الدواوين ولغة المجالس ولغة التهانى والتناظر والمديح كلها تركيــة؛ أضف إلى ذلك ما يترتب عليه من ذيوع التآليف ودواوين الشعر بتلك اللغة؛ وأهملت اللغة العربيــة فى شتى الأبحاث، وأقفرت تلك الحقبة من ذيوع لغة القرآن؛ جفت أقلام المفسرين والمحدثين والمؤرخين والشعراء إلا من نفر قليل قيضهم الله للاحتفاظ بالبقية الباقية من مجدها الأثيل

مولده

أنجبت القاهرة سنة ٩٥٢ هـ نخر العلم والأدب: زين الدين محمد المدعو عبد الرءوف بن تاج الدين بن على بن زين العابدين (أو العارفين) الحدادى المعروف بالمناوى (١)

(١) نسبة الى منيــة السيرج من ضواحى القاهرة، اذ يذكر ذلك على باشا مبارك فى خططه جزء ١٦ صفحة ٥٠ : « المنيا (منية السيرج) قرية من قرى القليوبية بمركز شبرى، موضوعة على الشاطئ القبلى لترعة القلج وشرقى الخليج المصرى بشىء قليل، وفى شمال قرية الخصوص وبها جامع عامر ... وهى وان كانت قرية صغيرة لكنها محلاة بالفضائل حيث نشأ منها من أكابر الأفاضل الامام الكبير والعالم الشهير الشيخ عبد الرءوف المناوى

نشأته

أكب على الدرس منذ حداثته، « وحفظ القرآن قبل بلوغه، ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية، وألفية ابن مالك، وألفية الحديث للعراقى، وعرض ذلك على مشايخ عصره فى حياة والده، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده العلوم العربية، وتفقه بالشمس الرملى، وأخذ التفسير والحديث والأدب على النور على بن غانم المقدسى، وحضر دروس الأستاذ محمد البكرى، والتفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطى والشيخ قاسم والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوى؛ لكن كان أكثر اختصاصــه بالشمس الرملى وبه برع، وأخذ التصوف عن جمع، وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ المناخلى أخى عبد الله، وأخلاه مرارا، ثم عن الشيخ محرم الرومى حين قدم مصر بقصد الحج، وطريق البيرامية عن الشيخ حسين الرومى المنتشوى، وطريق الشــــاذلية عن الشيخ منصور الغيطى، وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب مسعود الطاشكندى، وغيرهم من مشايخ عصره، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس، فسلك فيها الطريقة الحميدة، وكان لا يتناول منها شيئاً (١) »

* * *

أكب على الدرس منذ حداثته؛ وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام زهداً فى الدنيا واستجماماً للدرس والتحصيل، يميل الى العزلة .

ثم علق المنقول والمعقول، واستهوته العلوم العويصة كالفلسفة والتصوف حتى أصاب منها بغيته، ثم التفت إلى التاريخ فألف فيه المطولات لمن يريد الاستيعاب، ثم المختصرات لمن يبغى الاطلاع، كما ضرب بسهم فى السياسة والاجتماع. ثم واصل الدرس فتعمق فى فقه اللغة وعالج الكتابة غير أنه كان يميل إلى السجع والمحسنات اللفظية مما كان يعجب به أهل زمانه؛ وتعرض للتاريخ الطبيعى حسبما مكنه الأوان، ثم كان محدث عصره فجلس إلى الناس يحدثهم

(١) خلاصة الأثر للمحبى ج ٢ ص ٤١٢

ثم ولى التدريس بالمدرسة الصالحية (١) فحسده أهل عصره ؛ وكانوا لا يعرفون مزية عله لانزوائه عنهم



مدخل المدرسة الصالحية

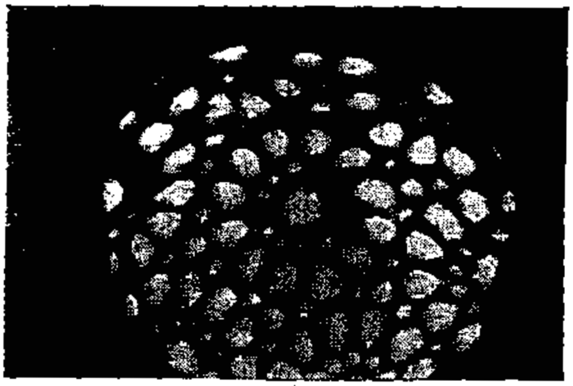
ولما حضر الدرس فيها ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه ، وشرع فى اقراء مختصر المزنى ، ونصب الجدل فى المذاهب ، وأتى فى تقريره بما لم يسمع من غيره فأذعنوا لفضله ، وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضور مجلسه ، وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلى ، والسيد ابراهيم الطاشكندى ، والشيخ على الأجهورى ، والولى المعتقد الشيخ أحمد الكلبى (٢) ، وولده الشيخ محمد ؛ وغيرهم

تصدره للافتاء

أما ما قيل من أنه تصدر الافتاء فذلك يرجع إلى أنه ذكر فى مقدمة زائفة لسيرة نسبت اليه : « قال شيخ الاسلام ومفتى الأنام الشيخ عبد الرءوف المناوى » ونحن نشك فى ذلك ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن جده (٣) الشيخ شرف الدين يحيى تولى مشيخة الأزهر وأن له مجموعة فتاوى

وفاته

ومع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم فتوالى عليه بسبب ذلك نقص فى أطرافه وبدنه من كثرة التداوى ، ولما عجز صار ولده تاج الدين (١) محمد يستملى منه التآليف ويسطرها . ولا ننسى أنه كثيراً ما اعتزل الناس وامتنع من مخالطتهم ، وأنه كان إلى أواخر حياته بحراً فياضاً ومعيناً لا ينضب . وافاه قدره فى صبيحة الخميس فى الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٣١ هـ ودفن بجانب زاويته التى أنشأها بين زاويتى الشيخين احمد الزاهد ومدين الأشمونى بعد أن ترك للأجيال ما يفخر به عصره



نقش بقبة مقام المناوى

تآليفه

١ — كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق : يشتمل على ١٠٠٠٠ حديث استخرجها من ٤٤ كتابا ما بين مغاز ومسانيد وسير بينها الكتب الستة رامزاً للأسانيد . فرغ من تأليفه سنة ١٠٢٦ هـ وطبع بمصر سنة ١٢٨٦ هـ ، سنة ١٣٠٥ هـ

٢ — الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية : يبدأ بمقدمة فى التصوف رداً على آراء المعتزلة ، ثم يتبعها بثمانية أبواب

(١) « هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة كان موضعها من جملة القصر الكبير الشرقى فبنى فيه الملك الصالح نجم الدين أيوب ... ورتب فيها دروساً أربعة للفقهاء المنتمين الى المذاهب الأربعة فى سنة احدى وأربعين وستمائة » هجرية . المقريزى فى خططه ج ٢ ص ٣٧٤

(٢) له زاوية ومقام بالقرب من ضريحه

(٣) الشيخ شرف الدين يحيى بن محمد المناوى ... تولى مشيخة الجامع الأزهر ولقب بشيخ الاسلام ، وكان يحضر بمجالس مولانا الحنفى ، فأخذ عنه وانقطع اليه ... توفى فى ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٧١ هـ » (طبقات الشاذلية للحسن بن محمد الكوهن) وللشيخ شرف الدين حاشية على شرح البهجة للعراقى . (خلاصة الأثر)

(١) هذا غير ابنه الآخر زين العابدين الذى له عدة رسائل منها : شرح تائية ابن الفارض ، وشرح المشاهد لابن العربى ، وحاشية على شرح المنهاج للجلال المحلى ، وشرح على الأزهرية ؛ ثم جمع فتاوى جده شيخ الاسلام يحيى المناوى ، وحاشية على الروض الأنف للسهيلى ، وتوفى صبيحة الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة ١٠٢٢ هـ ودفن الابنان مع والدهما

فى سيرة الرسول ثم بالخلفاء الراشدين ، ويلى ذلك تراجم الصوفية مفرداً طبقات كل قرن على حدة حسب سني وفياتهم ، مرتباً إياهم أبجدياً ؛ فكانت إحدى عشرة طبقة ينتهى الجزء الأول بانتهاء الطبقة السادسة والباقى فى الجزء الثانى ، فرغ من تأليفه سنة ١٠١١ هـ فى ٨٨٠ صفحة ولم يطبع

٣ — الطبقات الصغرى أو إرغام أولياء الشيطان : جمع فيه تراجم صوفيـة العجم والروم والحجاز واليمن والشام ومصر ، وصدره بمقدمة مرتبة على خمسة أبواب : فى التنبيه على جلال كرم الأولياء ، والرد على منكرى كراماتهم بالأدلة النقلية والعقلية ، وبيان منازلهم ومقاماتهم والحكمة فى ظهور الكرامات على أيديهم ، والترغيب فى مجالستهم ، والأخذ عنهم ، وبيان طبقاتهم وأحوالهم ومكان أصحاب الوظائف منهم ، وفى ذكر شيء من أصول علم التصوف المهمة التى لا يستغنى عنها ، ثم ذكر التراجم مرتبة أبجدياً . مخطوط فى ٢٧٦ صفحة ألفه بعد سابقه

٤ — آداب الأكل والشرب : فى آداب اللياقة يناسب أهل ذلك الزمن . مخطوط فى ٨٠ صفحة

٥ — شرح خطبة القاموس : فى صفحات قلائل

٦ — الدر المنضود فى ذم البخل ومدح الجود : من الأدب الرائع رغم ما به من سجع . مخطوط فى ١١٢ صفحة

٧ — اتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل للمناوى(١) مخطوط ضمن المكتبة التيمورية فى مناقب السيدة فاطمة الزهراء فى خمسة أبواب :

الباب الأول : ولدت سنة ٤١ من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل قبل الرسالة بخمس سنين

الباب الثانى : تزوجت عليا فى (خلاف من الخامسة عشرة من عمرها إلى الحادية والعشرين) وعمره إحدى وعشرون سنة فى رمضان سنة ٢ هـ وبنى بها بعد العقد بنحو أربعة أشهر ولم يتزوج قبلها ولا عليها ، وأولدها حسناً وحسيناً ومحسناً (مات صغيراً) وأم كلثوم الكبرى التى تزوجت عمر فعون بن جعفر فمحمد فعبد الله أخويه وأمهرها درعاً باعها بمبلغ ٤٨٠ درهما وكان جهازها : سرير مشرط بالشريط ، وإهاب كبش ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وقربة ، ومنخل ، ومنشفة ، وقدح

الباب الثالث : الأحاديث الواردة فيها : ٥٢ حديثاً

الباب الرابع : مناقبها ومزاياها

الباب الخامس : عشرة أحاديث روتها ثم أشعار بين فاطمة وعلى ضميمة التأليف

٨ — غاية الأرشاد فى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد لم أره ولعله يشبه حياة الحيوان للدميرى أو الحيوان للجاحظ أو عجائب المخلوقات للقزوينى

٩ — الجواهر المضيئة فى الأحكام السلطانية : فى آداب السلطان وعلم الاجتماع

١٠ — سيرة عمر بن عبد العزيز (١)

١١ — التوقيف على مهمات التعريف : مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس

وهو ذيل لكتاب التعريف للشريف الجرجانى ويشمل الاصطلاحات العلمية العربية فى عهدها أفاض فيه المناوى فى ذكر المسميات الفنية التى تساعدنا الآن فى تسمية أجزاء الآلات وغيرها مما له مساس بأغراض المجمع اللغوى الملكى

١٢ — فيض القدير : طبع فى مصر :

وهو شرح كبير مستفيض لكتاب الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى فى علم الحديث

١٣ — ٨٠ مؤلفات تامة ذكرها المحبى فى خلاصة الأثر فليراجعها من أراد

٨١ — ٩٣ مؤلفات لم تتم

ونحن نرجو من يعثر على مؤلفات لعبد الرءوف المناوى غير ما ذكرت أن يتفضل بذكر مكان وجودها خدمة للرجل وفضله

(الزقازيق) **محمد إبراهيم العفيفى**

---

(١) كتب المرحوم أحمد تيمور باشا على الصفحة الأولى منه ما يلى : « فى خلاصة الأثر صفحة ١٧٦ أنه للشيخ محمد حجازى بن محمد بن عبدالله الشهير بالواعظ المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ فيجوز أن تكون نسبته للعلامة المناوى خطأ أو يكون للواعظ كتاب آخر توافق اسمه مع المناوى ؟ تيمور »

(١) مخطوطة بالمكتبة العامة ببرلين تنسب اليه والحقيقة أنها لابن الجوزى (تراجع لذلك مقالة لكاتب السطور نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤

الكذب والصدق

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

الكذب أسعدني والصدق أشقاني
والكذب أضحكني والصدق أبكاني
الكذب صيّر أعدائي ذوي مقةٍ   والصدق أبعد عني كل أخداني
كم ورطة كادفيها الصدق يوقعني   وبعد ذلك منها الكذب نجّاني
حرمتُ أكثر ما عيشي يطيب به
والصدق قد كان من أسباب حرماني
ما كنتُ أرعى نجومَ الليل في سهرى
بل كان فيه نجومُ الليل ترعاني
لولا أكاذيبُ آمالٍ تخادعني   من كان يذهب أشجاني وأحزاني
إن الأمانيّ تسلي وهي كاذبة
وليس في الصدق من سلوى لأسوان
الصدق مستنقعٌ في مائه أسَنٌ   فليس يملك إرواء لظمآن
والكذب بحر خضمٌّ لا قرار له   يحوى جواهر من درٍّ ومرجان
الصدق يلقاك بالأشواك جارحةً   والكذب يبسم عن وردٍ وريحان
وقد يفوز أخو صدق بمأربه   وقد يؤوب أخو كذب بخسران
لكن هذا قليلٌ غير مطرّد   فليس يبنى عليه رأيه الباني
إن الحياة بدنيانا لقائمة   على الأكاذيب من زورٍ وبهتانِ
الصادق الحرّ ذو فقر ومسكنة   والكاذب الفرد ذو مال وسلطان
إذا كذبتَ فقد أصبحتَ ربّ تقى   وإن صدقتَ فأنت الملحد الجاني
ما كنت تلعنني لو كنت تفهمني   أو كان عندك وجدانٌ كوجداني
وربّ أحدوثةٍ في صدقها سببٌ   إلى إثارة أحقادٍ وأضغان
وربّ أكذوبةٍ أدّت بحكمتها   إلى زوال حزازات وعدوان
الصدق في بثه نارٌ مؤججة   فليس يطفئها إلا الدمُ القاني

* * *

كم دولةٍ أنشأتها ساسةٌ كذبوا   فأصبحت ذات أبراج وأركان
ودولةٍ بعد كذبٍ صان بيضتها
أضاعها الصدق، صدقُ الجاهل الواني

لا تنكروا ما به قد جئتُ أخبركم   إني إذا قلتُ فالتاريخُ برهاني
هل السياسة إلا الكذبُ باقية   على جماهير من بُلهٍ وعميان
هل الحياة وإن كانت مثقفة   سوى نفاقٍ وتدليس وإدهان
إن الحياة لسرٌّ ظلّ مختفياً   والروح أكبرُ من عقلي وعرفاني
هل كان في الأولين السابقين لنا   حقاً عبادةُ أصنامٍ وأوثان
الكذب بالحور والغلمان ذو هبةٍ   والصدق يقصيك عن حور وغلمان
نزلت في ليلة مقرورةٍ بهما
فالصدق عبّس لي والكذب حيّاني

* * *

الكذبُ كان بما فيه الرغادة لي   في العيش يأمرني والصدق ينهاني
إذا صدقتُ فان الناس تمقتني   وإن كذبت فان الناس تهواني
يصحّح الكذبُ ما للصدق من خطأ
والكذب والصدق في الإنسان صنوان
وأعذب الشعر ما قد كان أكذبه   قد قال هذا قديماً كل إنسان
وطالب المثل الأعلى وإن عجزت   منه اليراع على هذا هو الباني

* * *

للنابغين شياطينٌ تساعدهم   وما شياطينهم أشباه شيطاني
إبليس أنجبَ شيطاني وأدّبه   وبالأكاذيب أوصاه وأوصاني
جميع ما فيّ أمسى تحت سلطته   إلا ضميري وأخلاقي وإيماني
أما مفارقةُ الشيطان لي فكما   يفارق الروحُ عند الموت جثماني
ولا يفارقني إلا غداة يرى   سيري إلى العالم الباقي من الفاني
الشعرُ أنشدُه كالشعر يقرضه   على لساني فأنا فيه سيان
يبكي ويضحك شعري حين أرسله   إلى الجماهير من أنسٍ وجِنّان
لقد جرى الشعر شوطاً في تطوّره   وظل يبدل ألواناً بألوان
لم يكبر الشعرُ معتزّاً بقوته   حتى تربيّتُه طفلاً بأحضاني
ولست أرضى بسلطانٍ على أدبي   إن لم يكن ذلك السلطان سلطاني
وربّ شعرٍ جميلٍ بعد قائله   يشدو به الناس من قاصٍ ومن دان
الشعر باللفظ والمعنى يفوق كما   يطير بالطير في الجوّ الجناحان
وأفتنُ الشعر ما قد هزّ سامعَهُ   بما به بثّ من وجد وأشجان
وسوف يبقى جديداً في رسالته   إلى الجماعات ما كرّ الجديدان

بغداد   جميل صدقي الزهاوي

أختى

للأستاذ أحمد رامى

رزئ الشاعر الوجدانى الرقيق الأستاذ رامى فى أخته منذ أسابيع فبكاها بهذه العبرات المنظومة :

أنا للحزن وما يبعثه   فى خيالى من تهاويل الشجن
كلما صرت بنفسى خالياً   يتبدّى من غيابات الزمن
يعرض الماضى فيسقينى الذى   ذقت فيه من أفانين المحن
ثم يدعونى إلى مجلسه   بين أوّاهٍ وباكٍ من حزَن
يشتكى ذو الوجد مايعتاده   و يغنى فيه مسلوب الوسن

* * *

هى أختى درجت فى كنفى   ثم أمست وهى للروح سكن
علّمتُها طفلاً على بُعد أبى   وهو نائى الدار عنى والوطن
ثم دلّت صباها فنمت   كالنبات الغضّ فى ظلّ الفنن
شربت طبعى وحاكت خلقى   ثم كانت هى سرّى المؤتمن
إن شكوت الدهر مما نالنى   سكن القلب إليها واطمأنّ

* * *

هى أختى صبّرت نفسى على   فقد أهلى كلما ضمّ كفن
لو تذاكرنا أبى أو إخوتى   ساجلتنى دمع عينى ما هتَن
قلت ترعانى وترعى ولدى   وتربيه على قصد السّنَن
وتواسى علّتى فى وحدتى   وتناجينى إذا الليل سكن
فطواها الموت عنى بغتة   فى الشباب الغضّ والوجه الحسن

* * *

تركت لى مَلَكا فى صورة   من جبين واضح النور فتن
وعيون تسحر اللبّ بما   أرسلته من ذكاء وفطن
وفم حلو اللمى مبتسم   فرّ عن درّ توارى واستكن
فيه منها مايعزينىَ عن   بعدها إما هفا قلبى وحنّ
وابن أختى قطعة من كبدى   أفتديه العمر روحاً وبدن

أحمد رامى

صمت الشك

علم أم ضعف

للاستاذ عبد الرحمن شكرى

ألا لا أبيح العيش مدحاً ولا ذما   سكتُّ فلا عذرا نطقت ولا لوما
ولا يستقيم القول إلا لمُنتَش   من العيش والآمال لا من صحا غما
ملات أساطير الحياة فان أفقْ   فمن لى بحلم قد حلمت به قِدْما
حلمت بحسن العيش والصدق والنهى   أمانىَّ لا صُمًّا تبدت ولا بُكْما
وإنْ لم يكن عيش الفتى حلم حالم   فما عذر قولى إن حسبت الدُّنى حلما
فان شئت كان الشك ضعفاً وخيبة   وإن شئت كان الشك منطقه علما
وإن كان أصل الوحش والناس واحداً   فَلِمْ فقدوا ظلفاً وقد كسبوا لؤما
وكيف أرى فى مقبل الدهر للورى   عــلاء ومحيىً يجمع الخلق والفهما
إذا كان صدق الناس كذباً وفضلهم   رياء وود منهم الغــدر والسما
صحوت كصحو المَيْت من نوم عيشه   أترجمنى للعيش ألعقه رغما
كما يلعق الآسى العليل دواءه   وإن مج منه علقما قد نبا طعما
وهل ثقة بالعيش والناس تشترى   لأنثرها نثراً وأنظمها نظما
وإن كان مدح المرء للعيش خشية   من اليأس كان المدح من وجل ذما
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ   حياة وإن أغرى بك الأمل الجما
وإلا فإن الصمت أولى بقائل   إذا قال قولاً جدد اليأس والهما
على تافه لا ينفع الدهر غلة   ولم يك بين الناس ربحاً ولا غنما
رأيت زوال الكائنات فلا أسى   إذا لم أخلّدْ لى مقالا ولا نظما

القصص

صور من هوميروس

٢٠ ـ حُروب طَرْوَادَة

بريام الحزين . . .

للأستاذ دريني خشبة

تفرق القوم إلا أخيل . . .

لقد أوهنه الحزن ، وشف قلبه الأسى ؛ وكأن قتله هكتور لم يشف ما فى نفسه من شجو ، ولم يخفف عنه ما يلقاه من عذاب البعد عن أعز أصدقائه . . . . الفقيد بتروكلوس !

سيحدث بعد القول قول يُذيله   وإن زال أقوام تجد بعدهم قوما
وما الخلد إلا غرة وطاعة   وأنبل كِذْب يخدع اللب والفهما
يكون الفتى فى اليأس دهراً وفى المنى
(كأرجوحة بين الشقاوة والنعمى)
وقد حل بى دهر إذا ما مدحته   أظل كحاسى المر يفتعل البسما
وإنْ لم يُنِلك القول إلا مذلة   فمن بر نفسى أن ترى تركه حزما
فمن شاء فلينطق ومن شاء فليكن   صموتاً فحسبى أن أرى الحمق والحلما
مللت نضال الناس فى غير طائل
وإن كان شراً يصقل الذهن والفهما
وكم شبهوا فهما بسهم ومورد   ويا طالما أشوى الصواب وكم أظما
فياليت هذا العيش يبدو كصورة   لعينىَّ أوخطا على الطرس أو رسما
كما تهدأ الهيجاء فى رسم راسم   تراها فلا قتلا تراها ولا كَلْما
ترى حسن إحسان وتجويد صانع
وقدرة فنان وجهداً له تما

عبد الرحمن شكرى

وخرج لبعض شأنه فرأى جثة عدوه فى طريقه ، تثير فى نفسه الكوامن الشواجن ، فينقض عليها كالمجنون ، ويشبعها ركلا بقدمه ، وكلوماً بخنجره ، ويربط القدمين فى عربته ، ثم يلهب جياده بسوط نقمته ، فتعدو كالريح حول قبر بتروكلوس ، جارة وراءها جثمان هكتور ، تقلبه فى الأديم المُنَدَّى ، وتلُتُّه فى التراب الهامد . . . . .

ويكون أبوللو مطلا من سحابةٍ سارية ، فينتابه من الهم على صديقه ما يثير فى قلبه الحنان المقدس ، ويُلقى درعه الذهبي على القتيل المهين ، فتقيه الدرع من الصخر والحصى . . . .

أما ڤينوس ! فانها ترف هى الأخرى فوق الجثة ، وما تنفك تصب عليها من خمر الأولمب ما تنضح به من دمائها . . . . وطُلائها (1) . . . .

وتطلع الآلهة من ذروة جبل إيدا ، فترثى لما يحل بالميت المسكين من هوان ، ويلحظ أبوللو ما ينقدح من عينى سيد الأولمب من شر ، فيجد فرصته ، وينهض خطيباً مصقعا كيما يثير زيوس على أخيل . . . . عسى أن يحل عليه غضبه . . . . بعد إذ حماه طويلا . . . .

وينجح أبوللو فى إثارة رحمة الآلهة ، وتأليبهم على زعيم الميرميدون ، وجعلهم إلباً عليه واحداً ؛ لولا أن نهضت حيرا مغضبة ، فانطلقت تدفع عن أخيل ، وتُذَكِّر سادة الأولمب بهذا المهرجان الفخم الذى أقامه پليوس ، أخوهم ونجيهم ، هناك . . . هناك ، فى أعماق المحيط إحتفاء بقدومهم للمشاركة فى عرسه ، وبنائه على ذيتيس المسكينة . . . التى يعلم الجميع أنها ثكلى . . . وإن لم تفقد بعد أخيل ! !

وتذكرهم حيرا بالوثق الحرام الذى قطعوه على أنفسهم أن يباركوا نسل پليوس ، وأن يدفعوا عنه الضر . . . . حتى تنفذ مشيئة ربات الأقدار .

ويحار زيوس بين سخط الآلهة ، ودفاع حيرا . . . ثم يبدو

---

(1) الطلاء دم القتيل

له أن ينفذ رسوله الأمين (إيريس) إلى ذيتيس الحالمة فى أعماق البحر ، فتوقظها ، وتأتى اليها برسالة السماء ...

« ... أن هلمى من فورك هذا إلى سيد الأولمب ... فانه يأمرك أن تسمى إليه فى مهمة تعرفينها فيما بعد ... »

وتنتفض الأعماق بالأوسيانيد والنريد وسائر عرائس البحر وعذارى الماء ... يسمين خبباً فى إثر ذيتيس ... حتى تكون فى أفق جبل إيدا ... فينثنين ... تاركات مولاتهن فى ثوبها الحريرى الأسود ، وزنارها القاتم الحزين ، تسمى وحدها حتى تكون فوق الثبج ، ومن ثمة تعرج فى الأديم الأزرق حتى تلج أبواب السماء ...

وألفت حشد الآلهة ما يزال يتحاور ، وما يزال أبوللو يحاج حيرا وحيرا تقرعه ، حتى نظر زيوس فرأى ذيتيس تتهادى فى طيلسانها الأسود ، ووجهها المشرق الترع بالفاتن يزيده الحزن روعة ، ويضفى عليه الأسى جلالا ... فتبسم سيد الأولمب ، واهتز فوق العرش ، ثم قال : « مرحباً ذيتيس ! فيم هذا الأسى يا فتاة ! آه ... مسكينة ... ! ولكن اصغى إلى : لقد دعوتك إلى الأولمب لتذهبى برسالتى إلى أخيل العزيز ، فتوصيه بجثة هكتور ؛ لقد أثار بما ينزله بها من هوان غضب الآلهة جميعاً ... بل قد أثار غضبى أنا أيضاً ... أنا ... حاميه ومنقذه ومرشده فى كل مثار نقع ... إذهبى اليه فأمريه أن يقلع عن هذه المثلة ، فانه لا شىء يحنق الآلهة مثلها ... وليُسَلِّم القتيل لأهله ، فهذا خير له ، وليقبل القَوَدَ العظيم الذى يقدمه اليه بريام الملك الشيخ الحزين ... الذى حطمه الرزء ، وعظمت عليه البلية ، وصدعت قلبه المصائب ... أما نحن ... فسننفذ إيريس إلى طروادة تأمر الملك باعداد القَوَدَ والتجهز للقاء أخيل فى معسكره ... وسنرسل ولدنا هرمز إلى بريام يحدو ركبه إلى معسكر أخيل ، ويُعَمِّى أبصار الميرميدون حتى لا يثوروا به ، وحتى يكون أمام زعيمهم وجهاً لوجه ...

« ذيتيس ! حسب أخيل ما حل بابن بريام ... »

وهمت ذيتيس فانطلقت إلى ولدها ، حيث ألفته يتناول وجبة الصباح ، فأبانت اليه الرسالة الأولمبية وعيناها تفيضان بالدمع ، وقلبها يخفق ويضطرب ، ونفسها تذوب على شبابه الغض حسرات ...

وهش أخيل لأمه ، وتقبل رسالة الاله الأكبر قبولاً حسناً ، فنهضت ذيتيس وعادت أدراجها ، بعد إذ طبعت على جبين ولدها قبلة خاطفة ، كانت ... وا أسفاه ... آخر وداع منها له فى الحياة ...

* * *

وانطلقت إيريس إلى بريام الملك ، فوجدته ما يفتأ يبكى هكتور ، ومن حوله أبناؤه التسعة ، خُضراً كأفراخ القطا ، نضراً كأكمام الزهر ، والرجل مع ذلك يقلب فيهم عينين تفيضان حسرة ، ووجهاً يتشح باليأس والهم ... وإلى جانبه جلست هكيوبا المرزّأة تئن وتتفجع ، وترسل من أعماقها زفرات الهم والأسى ...

وبلغته إيريس رسالة ربه ، وعادت أدراجها إلى الأولمب ؛ وما كاد الملك يخبر زوجه بما أوحى إليه من ربه ، حتى اضطربت هكيوبا وأعولت ، وطفقت تضرب صدرها المتهدم بيديها الواهنتين لما اعتزم زوجها من تنفيذ ما أشارت به السماء ، والذهاب إلى أخيل يرجوه أن يهب له جثمان هكتور فخشية أن يأسره زعيم الميرميدون ويستبقيه عنده رهينة حتى يسلم الطرواديون ... !

ولكن الرجل كان مؤمناً حتى لا يتسرب إلى قلبه الشك بما رسمت له الآلهة ، أو يساوره ريب فى أى مما تشير به أربابه ؛ فزجر الملكة ، ونهض إلى خزائنه العامرة بالتحف فتخير اثنى عشر قرطقا من أغلى ما نسجت مصر ، ومثلها من المعاطف المصنوعة من القاقم والسنجاب ، وعدداً كبيراً من الوسائد الرائعة والطنافس ذات التصاوير ؛ ثم أمر بمشر بدَر فأحضرت من بيت المال ، وبدستَين كبيرين من الذهب ، ذَوَىْ قوائم من الفضة ، وأيد من الجوهر ؛ وبأربعة قدور مهداة من ملوك الشرق ، أحدها يزن ما يملأ خزائن بنليوس ذهباً .. وبكأس من الأبريز الخالص بها من النقوش والصنعة ما يعجز عن مثله عباقرة الجن ... ...

أمر بريام بكل أولئك فوضعت فى صناديق كانت هى الأخرى تحفاً من صناعات مصر والشام والهند ... تهيم فوقها تصاوير فارس ... ...

وصاح بأبنائه التسعة فهرعوا من كل مكان ... باريس المشئوم وهيلانوس وأجاثون ؛ وبامون وأنتيفون وبوليتْ ؛ ثم ديفوبوس وهيبوثوس وديوس ... كلاب الأزقة كما كان يدعوهم أبوهم ... « ليت المنية التى تخطفت هكتور تلقفتكم وخلت

سبيل هكتور ... أوليتها أصابت ألف ألف من أمثالكم وعميت عن ليكاون وبوليدور ... ؟ »

وأمرهم فرتبوا الهدايا ورزموها فوق ظهور البغال . . . وما ثقل منها وضموه فى عربة كبيرة يجرها بهيان ؛ وتقدمت هكيوبا فصبت على يدى زوجها خمراً يتطهر بها ، وأخذ هو فى صلاة طويلة لزيوس ... أن يحميه ويوقيه ... ويُرشده فى طريقه إلى أخيل ؛ ويرسل إليه الرسول الذى وعد ، يقوده إلى فسطاط زعيم الميرميدون !!

ولم يكد ينهض من صلاته ، ويختم توسلاته ؛ حتى رف فوقه طائر ظل يضرب الهواء بخافيتيه ، ويهوّم ويدوم ، ويرنق فى سماء الهيكل تارة ، ثم يستقر عند المذبح أخرى ، حتى أيقن الملك وملؤه أنه الرسول المنتظر ، والقائد المنشود تخفقت قلوبهم ، وفرحوا واستبشروا

وتقدم إيديوس الحكيم فألجم البغال ، وأسرج الخيل ، وشد البهائم إلى عربة الملك ، وأقبل بريام فركب ، وأصدر أمره إلى حكيم طروادة وفيلسوفها فسار بين يدى الركب ، يحدوه ويباركه ويضمن له رعاية السماء

أما الطائر الميمون فقد انتفض انتفاضة هائلة ، وراح يحلق فوق طروادة ، ... ثم غاب عن الأبصار ... إلى أين ... ؟ إلى حيث لا يدرى أحد !!

وتهادى الركب . وانطلق إيديوس يحدوه ، حتى كان عند مقبرة إليوس الأكبر ، وحتى كانت طروادة الخالدة وراءهم ، حالمة فى غبشة المساء ساهمة مستسلمة ، كالفكرة الشاردة فى دماغ الشاعر القرير

وغابت الشمس فى مياه الهلسبنت ، واختلط البنفسج الشاحب بسواد الليل ، ونقت ضفادع الأبالسة فى فضاء البرية ، فملأت القلوب وحشة ، وأرسلت فى المفاصل رعدة ، فلم يكن بد من أن ينيخ القوم حتى يأذن القضاء بالرحيل

وفيما كان إيديوس يسقى الدواب من الغدير النائم فى كِلّة الغسق ، إذا شاب يافع يقبل نحوه ويسأل عن الملك ... ويكون بين يديه بعد لحظات ...

ويسأله الملك عن شأنه فيُحدّث أنه جندى آبق من جنود أخيل ، وأنه ينصح للملك ألا يجازف بنفسه وبما يحمل من اللُّحى والعطايا فى هذه الرحلة المهلكة ، التى قد تنتهى بما لا يدور للملك فى خلد ، أو يقع له بحسبان ؛ ولكن الملك يبدى تصميمه ويلح فى سؤال الشاب عن هكتور ... « أما زال مُسجّى بين يدى أخيل يشفى بمرآه حَرّده ، أم هو قد أسلمه للسباع وجوارح الطير تنوشه وتغتذى به ؟ ... » ويطمئنه الشاب اللَّعاب الداهية ثم يرثى له فيمده أن يكون قائده إلى فسطاط أخيل ... « لأن أحداً من الناس لا يستطيع أن يخترق صفوف الميرميدون الدواهى ما لم يكن مخاطراً بنفسه ، أو ملقياً بيديه إلى التهلكة ... » ويستسلم الملك الشيخ ، ويلقى فى يدى الجندى الشاب بزمامه ، ويأذن له فيمتطى الجواد الأمامى الذى يتقدم سائر الدواب ... وتبدأ الرحلة إلى مرابض الميرميدون ...

ويتحدث الشاب إلى الملك ، ويتحدث الملك إلى الشاب ... حتى إذا كانا قيد خطوات من معسكر أخيل ، مد الشاب ذراعيه المفتولين ، ولفهما حول جذع الملك ، ثم رقاه رقية قصيرة ، وإذا سأله الملك عما يعنى بها أنبأه ... « كى لا تمتد إليك عين ولا يلمحك أحد ، ولا يحس بمَسْراكما أىٌّ من أولئك الميرميدون ... » فيسكن جأش بريام الشيخ ، ويطمئن قلبه ، وتتضاعف ثقته فى الجندى الشاب ...

ويكون فسطاط أخيل تلقاءهما !

فينهض الشاب من جانب الملك ، ثم ينتفض انتفاضة تكشف عن حقيقة ، ويقول ضاحكا : « أيها الملك أنت الآن فى جوار أخيل ، وعليك أن تلقاه فى غير هيبة ولا وجل ، فادخل غير مستأذن ، ولتكن رابط الجأش ساكن الروع ، واركع بين يديه ثم ازرف أغلى دموعك حتى تُلين ما قسا من قلبه ، وتحجر من مشاعره ، واذكر له حاجتك فإنه رادّ عليك جثمان هكتور ... وثق أن السماء قد قضت بذلك ، ولا مَرَدّ لقضائها ... أما أنا ... فلا تنتظر أن أسمى بك إلى زعيم الميرميدون ... وليس سراً أن أذكر لك أننى ... ... هرمز ... أرسلنى أبى إليك لأجىء بك إلى هذا المكان ... انهض ... انهض ... ماذا أخافك منى ؟ .. أجل ... أنا ربك ... ولكن لتقصر صلاتك هذه ، فالفرصة تكاد تفلت ... تشجع يابريام ... قف ... آمرك ... »

وينهض الملك من غشيته التى كادت تذهب به حين ذكر له الشاب أنه هو هرمز . . . هرمز نفسه الذى ذكرت له إيريس أنه سيقوده إلى فسطاط أخيل . . .

وينظر بريام فيرى إلى . . . الجندى الشاب . . . يرف فى

الهواء الندي ، ثم يرتفع ويرتفع ، حتى يكون في السماء التي تتفتح له أبوابها ! ؟ . . .

ويصلح الملك من شأنه ، ثم يتقدم بخطى وئيدة إلى فسطاط أخيل ، ويدخله ... ويرى زعيم الميرميدون في الصدر ، وبين يديه وزيراه المظيمان أوتوميدون وألكيموس ، ثم قادة الجند منتثرين ههنا وههنا . . . يهمسون ولا يكادون يبينون ...

وكان السماط ما يزال أمام الزعيم ، وزقاق الخمر ما تزال تقبل الكؤوس المترعة ، والشواء المطيم يملأ الخياشيم بقتاره ... فلم يبال بريام ... بل تقدم وتقدم ... حتى كان أمام أخيل ... فركع ذاهلاً عن نفسه ، ولف ذراعيه حول ساق الزعيم ، وراح يوسعهما لثماً وتقبيلاً ، ويعطرها بأحر العبرات ! ...

وشُده أخيل ! ...

بيد أنه كان يعلم من أمر هذه المفاجأة كل شيء ، فلم يزد أن قال : « بريام ! ؟ »

— « أجل يا بني أنا بريام ! ! ... »

وبهت القادة مما رأوا ، وأذهلهم ما سمعوا ! ...

أهـذا حقاً هو بريام ملك طروادة يبكي بين يدي أخيل وينتحب ؟ ... إذن ... فيم هذه الحرب ؟ ... وحتام ذاك الصراع ؟ ... وإلام تذهب هذه المهج ؟ ...

— « أجل يا بني ... أنا هو ... أنا الرجل المرزأ المحزون الذي قتلت أبناءه ، وهرقتو دماءهم لأنهم يحاربون من أجل وطنهم ، ويذودون عن بلادهم ... سعيت إليك ... إليك يا أخيل العظيم ، لأمطر هـذه اليد التي ذبحتهم بدموعي ، ولأوسعها لثماً وتقبيلاً ؟ !

أتمنى يا بني أن تعود قريباً إلى أبويك سالماً ، فيهش أبوك للقائك ، وتبش أمك لعناقك ، ويفرح ذووك بك ، لأنك عدت اليهم بالنصر والفخر ... أستغفر الآلهة ، بل عدت اليهم سالماً من نكبات الحرب وكوارثها ... فهل أكون قاسياً أن أرجوك ... حين تعود الى ديارك وتلقى فيها أحباءك ... أن تذكر أن أبوين آخرين قد خلفتهما وراءك يشقيان ويبكيان ، ويلبسان السواد أبد الدهر ، لأن أبناءهما لم يعودوا من ساحة الحرب كما عدت أنت ، بل هم قد سقطوا فوق أديمها ، مضرجين بدمائهم ، شاكين إلى أربابهم ما حل فيها بهم ، تاركين آباءً شيوخاً فانين ، وأمهات ضعيفات معولات ، وقلوباً تتفجر أسى عليهم ، وعيوناً تخلط دموعها بدمائها من أجلهم ، وأرامل يلطمن الخدود ويشققن الجيوب ، ويتامى لا حول لهم ولا قوة على الزمان الغادر ، والحظ العاثر ، والصبر الجميل ... ؟ ...

هل أكون قاسياً يابني إذا رجوتك أن تذكر ذلك أو بعض ذلك ، حين تعود إلى ديارك وتلقى أبويك الفرحين بك ؟ ...

أخيل ! لم أسع إليك يا بني إلا بأمر الآلهة ، ووحي سيد الأولمب ... أرجوك في هكتور ... ! ...

واحر قلباه يا هكتور ... ! وا أسفاه عليك يا ولدي ! ...

صدرت إليك يا أخيل عن أمر السماء أرجوك في هكتور أن تسلمه إلي حتى نؤدي له فرائض الآلهة ، وطقوس الموت ، وما أحسبك إلا ملبياً نداء الحزين ، حتى تتيح للآلاف المؤلفة من جنوده وذويه وزوجه وابنه ان يبكوا جميعاً عليه ، وأن يشيعوه إلى الدار الآخرة بما رضيت أن تؤديه لبعض أصحابك ، حتى تقر روحه ، ويؤذن لها فتلج إلى هيدز ...

أخيل ... لب ندائي أيها الزعيم الباسل ... لب نداء هذا الشيخ الضعيف ، ... وارحم فيه هذا الذل الذي حمله إليك ... وأسعده بتقبل هذه الهدية التي أمرت بها السماء ... وإن تكن يا أشجع المحاربين في غَنَاء عنها ، ولا حاجة بك إليها ... »

وأحس أخيل كأنما تخاطبه السماء كلها بلسان هذا الشيخ المتهدم ، وكأنما الآلهة جميعاً تنطلق من فمه لتكون بياناً ورحمة في قلبه ، فأنهضه من بين يديه ، وأجلسه إلى جانبه فوق أريكته ثم أخذا معاً في بكاء حار طويل

وتقبل أخيل هدايا الملك ، وأشار إلى اوتوميدون وزميله فأخذاها إلى الأسطول ، ثم أمر الخادمات فغسلن هكتور بالماء الساخن المطر بدهن الورد ، ولففنه في مدارج بأكملها من كتان مصر ، وتقدم هو فوضعه على وسادة الموت ، وأشار إلى جنوده فرفعوه إلى إرانه ، ثم أخذ يهون على بريام ويواسيه ، ودعاه إلى تناول العشاء معه ، فلبى الشيخ وهو يعول ويبكي ... بكاء يفتت الأكباد ويذيب نياط القلوب . . .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، وكان بريام الملك قد لبث الليالي الطوال يتفجع على ولده ، ولا يذوق جفنه طعم الكرى فأحس بعد العشاء باعياء وجهد ، وميل شديد إلى النوم ، فَصُفَّت له ولرجاله وسائد فاخرة ، عليها طنافس وملاءات من الهند ، واستأذن أخيـل واستلقى على متكئه . . . وقبل أن

يسلم عينيه للكرى ، سأله أخيل أن تكون هدنة بين الجيشين المتحاربين حتى تؤدى كل الطقوس اللازمة لتحريق هكتور ؛ واتفقا على أن تكون هذه الهدنة لمدة أحد عشر يوماً

* * *

وفى الهزيع الأخير من الليل ، أقبل هرمز الكريم فأيقظ بريام الملك ، ونبهه إلى الخطر الذى يحيق به إذا أشرقت الشمس وأقبل أجا ممنون وسائر القادة الهيلانيين ورأوا كبير أعدائهم ، وصاحب اليوم ، فى معسكر أخيل . . . هنالك يحجزونه لديهم رهينة حتى تسلم مدينته . . . « فهلم أيها الملك وانج بنفسك ، وسأقودك الى طروادة بحيث لا يشعر بك أحد ، ولا يحس الميرميدون لركبك رِكْزاً . . . »

ويسير الركب فى هدأة الفجر ، ويحدو هرمز القافلة حتى تكون لدى البوابة الاسكائية الكبرى ، فيسلم على الملك ويبارك الميت . . . ويعرج فى السماء . . .

وتكون كاسندرا ، ابنة بريام الكبرى ، أول من يلمح الركب مقبلا ، فتبشر الأهالى المحزونين ، ويرتفع اللغط ، وتشتد الضوضاء ، ويتكبكب الواطنون حول العربة التى تحمل الأران حتى ليتعذر السير ، ويبطئ السعى ، فيصيح الملك بالملأ ، فتنفرج الطريق ، ويعم الصمت ، ولا يحس إلا وجيب القلوب وخفقانها

وتقبل أندروماك فتذرى دموعها ، وتندب حظها ، وتبكى زوجها ، وتمزق قلوب الطرواديين بما يبدو عليها من أسى وحزن ووجد وكمد ...

وأم هكتور ! ... ويا لمصاب الأمهات فى فلذات أكبادهن ، وأعز الأبناء عليهن ! ! ...

وهيلين ! ! والعجيب أن تبكى هيلين هى الأخرى ! ! هلين الآبقة ... هيلين الأثيمة . . . ! !

* * *

ويأمر الملك فينتشر الجند يجمعون الوقود من كل فج ، حتى تكون كومة عالية ؛ ويوضع الجثمان البكى فوقها ، وتصب الخمر تحية لآلهة الموت وتكرمة ، وتشتعل النار فتكون ضراما . .

* * *

أنشـــد يا هوميروس !
يا شاعر الأحقاب الخالية !
يا صَدَى الزمان القـديم !
أيها القيثـــارة المرنّة فى أنامل الأيام !
أرسل من الأزل أنشودتك تملأ الأسماع فى الأبد !
واعصف مع الريح ... ...
واهتف مع البلابل ... ...
وتقبل تحيات المعجبين ...

(تمت الألياذة)

(بقية الحروب فى العدد القادم)

دريني خشبة

البريد الأدبي

ترجمة لكير هاردي

منذ أكثر من قرنين يتناوب الحكم في بريطانيا العظمى حزبان عظيمان هما حزب المحافظين وحزب الأحرار؛ ولكل من الحزبين في ميدان الكفاح السياسي مواقف وتقاليد عريقة؛ ولكن حزباً ثالثاً ظهر فجأة في ميدان السياسة الانكليزية هو حزب العمال؛ وكان ظهوره إيذاناً بوقوع الثورة الاجتماعية التي لبثت أسبابها تجتمع طوال القرن التاسع عشر؛ وظهر حزب العمال ونما بسرعة مدهشة، ولم يمض على قيامه نحو ثلاثين عاماً حتى استطاع أن ينتزع مقاليد الحكم من الحزبين القديمين الكبيرين (سنة ١٩٢٤)، ثم تولاها مرة أخرى في سنة ١٩٢٩

وقد كان كير هاردي من أقطاب مؤسسي هذا الحزب الجديد ومن أعظم الزعماء الذين أمدوه بأسباب الحياة والقوة؛ وحياة هذا الزعيم المجاهد هي موضوع مؤلف جديد صدر أخيراً بالانكليزية بقلم هاملتون فايف، وهي مثل رائع من صور الكفاح الخالد بين الطبقات. كان كير هاردي عاملاً منذ نعومة أظفاره، وقد نشأ في بيت فقر وبؤس، وذاق مرارة الكفاح الشاق منذ طفولته، ولم يتلق تعليماً ولا ثقافة، ولكنه تعلم القراءة في منزله، وصقل ذهنه بالدرس المتواضع، ودرس الحياة بصورة عملية، وظهر في مجتمع العمال منذ حداثته، واشتهر بكفاحه في سبيل قضية العمال. وفي سنة ١٨٩٢ أسس كير هاردي مع نفر من صحبه الحزب الذي قدر له أن يتبوأ بعد قليل مركزاً خطيراً في السياسة البريطانية وهو حزب العمال المستقل؛ وكان هو أول رئيس لهذا الحزب؛ وفي نفس العام دخل البرلمان نائباً عن إحدى المناطق الصناعية، وكان دخوله في هذا المجلس العريق في مظاهرة اشتهر ذكرها في هذا العصر؛ ولبث كير هاردي يسهر على مصاير حزبه وعلى مصاير قضية العمال، ويبث روح الكفاح والقوة في الحزب الجديد، تارة بقلمه وتارة بخطبه، حتى أصبح حزب العمال قوة يخشى بأسها. وفي سنة ١٩٠٦ كان لحزب العمال في مجلس النواب زهاء ثلاثين مقعداً؛ وبدأ الكفاح الحقيقي بينه وبين الأحرار والمحافظين، وبدأت الحكومات البريطانية المتعاقبة تحسب حسابه، وتنزل عند بعض رغباته، ومازال سائراً في طريق الكفاح الاجتماعي حتى وصل الى ما وصل اليه اليوم من القوة والنفوذ

على أن الكفاح السياسي ليس أغرب صفحة في حياة كير هاردي، ولعل أغرب ما في هذه الحياة هو ما تميزت به حياة هذا المجاهد من بسالة ومقدرة على مغالبة الشقاء والفاقة، وما بذله من عزم وجلد. هنا تبدو حياة كير هاردي بديعة مؤثرة؛ ولعل أحداً من الناس لم يصف لنا هذه الحياة المؤثرة بقدر ما وصفها كير هاردي نفسه، فقد كتب كثيراً في متاعب هذه الحياة وشقائها. ومما يذكر أنه في صباه تأخر ذات يوم بعض الوقت عن عمله، فطرده صاحب العمل، وكان أبوه عاطلاً وأخوه يعاني الحمى، ولم يكن لأسرته عائل غيره. وقد وصف لنا كير هاردي فيما بعد هذا المنظر المحزن فيما يأتي :

« لبثت مدى حين أتجول في الشوارع تحت وابل المطر المنهمل، خجلاً من أن أعود إلى بيت لا طعام فيه ولا وقود؛ وأسائل نفسي دهشاً أليس أفضل شيء أن ألقي بنفسي في نهر «كلايد» وأنتهي من حياة كهذه ليس فيها ما يرغب؛ وأخيراً ذهبت إلى الدكان، وقابلت صاحبه وأوضحت له سبب تأخري، ولكني لم أظفر منه بطائل، ولم يدفع لي أجري؛ وإني لأرتجف الآن ويتفطر قلبي كلما ذكرت الحادث؛ ومازلت أرتد إليه وأرتد على أجنحة الخيال، وأتصور أنه في نفس الليلة كان ثمة آلاف من التعساء يعانون مثل هذا العذاب؛ وهي فكرة لا يطيق الانسان احتمالها »

ويصف لنا مستر هاملتون فايف حياة كير هاردي المؤثرة في جميع أطوارها؛ وإنها لقطعة مؤثرة مبكية من الكفاح في هذه الحياة الشاقة؛ ثم هي في نفس الوقت صورة رائعة من البسالة وقوة النفس، والصبر على المكاره، وعظمة البؤس التي تحمل على الاحترام والاكبار

وكان كير هاردى صحفياً وكاتباً ، وقد كتب كثيراً عن الاشتراكية وتحرير الطبقات العاملة ، وتوفى فى سنة ١٩١٥ دون الستين من عمره ، بعد أن نفث فى حزب العمال كثيراً من روحه القوى الوثاب

وثائق هامة عن حياة زعيم مسلم

من أنباء موسكو أن بعض الباحثين فى محفوظات الدولة قد عثروا أخيراً على طائفة من الوثائق والرسائل الهامة التى تلقى أقوى الضياء على سياسة القياصرة نحو مسلمى القوقاز فى أواخر القرن الماضى ، وعلى حياة شاميل الزعيم القوقازى المسلم الشهير ، وعلى علاقات مسلمى القوقاز باخوانهم فى تركيا وبلاد العرب وفارس . ويرجع الفضل فى اكتشاف هذه الوثائق إلى جهود المعهد الشرقى الروسى ؛ وقد كتبت كلها فى عصر شاميل واليه بالعربية ؛ ومعظمها رسائل أصلية وجدت فى بعض محفوظات تفليس وجروزنى ، وعددها خمس عشرة وثيقة ؛ وينتظر أن تنشر بنصها الأصلى خلال انعقاد المؤتمر القادم للمباحث الشرقية

وقد وجدت الى جانب هذه الوثائق طائفة من المخطوطات والكتب الأدبية ترجع أيضاً إلى عصر شاميل ؛ ومنها مؤلف تاريخى وضعه الزعيم شاميل نفسه بالاشتراك مع صديقه وزميله محمد طاهر ؛ وهو الآن فى المعهد الشرقى قيد البحث والاعداد للنشر . واكتشاف هذه الوثائق والمؤلفات يعدل كثيراً من الوقائع والآراء التى جرت حتى اليوم فى شأن علائق القوقاز المسلمة بحكومة القياصرة ، وكفاحها ضد مظالمهم ، والتى استقيت معظمها من أقوال ووثائق رسمية مغرضة ، ويلقى فى نفس الوقت ضياء كبيرا على حياة شاميل زعيم القوقاز المجاهد وعلى حسن بلائه فى مقاومة سياسة القياصرة ، وفى بث روح الوطنية والعزة القومية والدينية فى بنى وطنه ودينه

حول كتاب (الاسلام الصحيح)

ألف هذا الكتاب الأستاذ اسعاف النشاشيبى منذ أشهر ، وكتب عنه فى (الرسالة) الاستاذ محمد كرد على منذ أشهر ؛ ثم درجت عليه الأيام دون أن تتاح لنا الفرصة لقراءته ؛ ومنذ أسابيع أخذت مجلة (العروة) تنشر منه فقرات تتصل بالشيعة أخطأ التوفيق فيها المؤلف ، فثار على الكتاب والكاتب النقد العنيف من النبطية والنجف ، وعاتب بعض فضلاء الشيعة (الرسالة) على قبولها تقريظ هذا الكتاب . والرسالة التى تدعو الى اتحاد الأمة العربية وائتلاف الملة الاسلامية تبرأ الى الله من سوء النية فيما نشرت ، إنما هو رأى أستاذ كبير فى كتاب قرأه ولم تقرأه ؛ وكل مقال تنشره بامضاء كاتبه إنما تكون تبعته عليه لا عليها

ضريح ابن الأثير فى الموصل

يشغل ضريح العلامة ابن الأثير بقعة صغيرة من الأرض خارج الموصل على شارع الحزامية المؤدى إلى المستشفى الملكى ؛ وقد راع بعض الأفاضل حاله السيئة ففكر فى تشييد ضريح غيره يليق بشهرة صاحبه ومكانته فى التاريخ العربى ؛ وهو عمل جليل نرجو أن تساهم فيه إدارة الأوقاف وإدارة الآثار فى العراق ؛ فان من حق الذين أولونا الفضل فى الحياة ، أن نوليهم الاجلال فى الموت

الدكتور الرافعى

عاد من أوروبا منذ قريب ، الدكتور محمد الرافعى ، نجل صديقنا الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، بعد أن أتم دراسة الطب بجامعة ليون ، وكان مبعوثاً إليها على نفقة جلالة الملك ، تقديراً لنبوغه وكفايته

وقد كان الدكتور الرافعى فى دراسته ، وفى رسالته لنيل الدكتوراه ، وفى درجاته العلمية التى حصل عليها ، مفخرة مصرية ودعاية ناطقة للشباب المصرى فى أوروبا

وحسبه أن يعلن رئيس جامعة ليون فى اجتماع لجنة القضاة المحكمين لمناقشة رسالة الدكتور الرافعى : أن هذه الرسالة تعتبر أماً لجميع الرسائل والكتب والمؤلفات التى وضعت فى بابها من سنة ١٩١٠ إلى الآن ، وأنها جاءت بالحل الأخير لمناقشات كادت لا تنتهى . وكان الدكتور الرافعى قد اكتشف مرضاً مما يصيب الأطفال لم يتنبه إليه أحد ، ووضع له اسماً خاصاً به

وقد منحته الجامعة درجة (جيد جداً) ، مع (درجة تقدير القضاة) ، و(مبادلة الرسالة لجميع الجامعات الأجنبية) . وهى درجات رفيعة حقيقة منا بأن نتقدم اليه والى والده الكريم بالتهنئة فخورين معجبين

بعض آراء الزملاء فى الرسالة

لا تزال تنثال على (الرسالة) تهنئات الأصدقاء من مصر وسائر الأقطار العربية على دخولها فى عامها الرابع ؛ وهى تشكر لهم هذا العطف الجميل ، وترجو أن تظل من توفيق الله على الحال

التى يرتضيها الحق والجمـال والخير ؛ ثم تثبت هنا بعض آراء الزملاء الفضلاء فيها تسجيلا للوفاء منهم وللشكر منها :

قالت الجهاد الغراء فى عددها الصادر فى ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا «الرسالة» الغراء فى عامها الرابع ، فحق لصاحبها الأديب الضليع الأستاذ أحمد حسن الزيات أن يغتبط بما أصاب فى رسالته من نجاح ، وما كتب لجهوده الصادقة من توفيق

ونحن إذ نقول التوفيق لا نشير فقط إلى ما لقيت « الرسالة » من ذيوع فى مصر وفى سائر الأقطار العربية ، وإنما نشير إلى السبيل التى سلكها الأستاذ الزيات بمجلته ، حتى بلغ بها هذا النجاح الذى يغتبط به كل ذى غيرة على الأدب العربى ، فهو لم يسلك إلى النجاح واجتذاب الجمهور تلك السبيل الممهدة الرخيصة وهى النزول إلى مستوى العـامة واقتناص الربح منهم بأرخص المغريات ، ولكنه تطلع فى عزم وإيمان وهمة لا تحد نحو غاية أسمى ، وتصـدى لمهمة أنبل وأكرم ، فراح يرفع الجمهور إلى المستوى الذى يحبب اليه الأدب الصافى القويم

وقد سلخت (الرسالة) ثلاثة أعوام لم تنثن فيها عن تحقيق هذه الغاية ، بل لقيت من النجاح ما حفزها إلى المثابرة والمضى فيما سلكت من سواء السبيل

فلصديق القدير تهنئتنا الخالصة ولمجلته اطراد التوفيق والنجاح

وقالت « البلاغ » الغراء فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

أتمت مجلة الرسالة لصاحبها ومحررها الأديب الـكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات سنتها الثالثة ، ودخلت بالعدد الأخير منها فى عامها الرابع من عمرها الطويل المبارك إن شاء الله . والرسالة تؤدى مهمة ثقافية سامية ، وتصل ما بين الأقطار العربية ، وتسمو بالأدب عن التجارة ، وتحرص على الرفعة والجد ، وهى تمثل فى الأدب المذهب السديد الذى يزاوج بين القديم والجديد ، فلا يهمل القديم من كنوز الآداب ولا سيا العربية لقدمها ، ولا يفتتن بالحديث لطرافته ؛ ومن هنا كانت « الرسالة » كاسمها «رسالة» حقيقية إلى أمم العرب قاطبة ، ولهذا فازت بحقها فى كل قطر من الأقطار العربية من التقدير والاكبار . فنهنئها بعامها الجديد ، ونشكر لزميلنا وصديقنا جهده الصادق المخلص فى خدمة العربية والأدب الرصين

وقالت روز اليوسف اليومية فى عددها الصادر فى ٧ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت زميلتنا « الرسالة » الغراء فى عامها الرابع مزودة بما قدمت لقرائها بل الأدب العربى من خدمات سيرويها التاريخ فخوراً بها . وسـترى فيها الأجيال القادمة مرآة صادقة للمثل الأعلى فى ثقافة هذا الجيل وأدبه

وإذا كانت « الرسالة » باعتراف قادة الفكر رسول العلم والأدب إلى العقول ، فهى باعتراف قرائها الذين أقبلوا عليها طوال هذه السنين رسول الروح المهذبة والعقلية المؤدبة والعاطفة الملهمة ، تحمل إلى رواد الأدب والعلم والشعر كل رائع وكل بديع

وإذا كان واجباً علينا أن نهنىء حضرة الزميل الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات بدخول الرسالة فى عامها الرابع فأوجب من هذا أن نهنئ القراء بما سيقرأونه فى العام الجديد بين صفحات الرسالة فى عامها الجديد

فهنيئاً لزميلنا الكبير رسالته النبيلة ، وهنيئاً لقرائه ما سيقرأون

وقالت المقطم فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة الرسالة الغراء فى عامها الرابع بعددها الأخير وقد حفلت مجموعات سنواتها الثلاث بطائفة طيبة من الأدب العربى الصافى المورد ، فكانت مسرحاً لأقلام فحول أدباء هذا العصر من المحافظين على متانة الأدب العربى القديم ، والناهلين من أدب الغرب الحديث ، من أدباء مصر وسورية والعراق وغيرها ، فنهنئ حضرة الزميل الفاضل الأستاذ احمد حسن الزيات صاحب الرسالة الغراء ونتمنى لرسالته ذيوعاً وانتشاراً حتى يشمل نفعها أكبر عدد من أدباء العرب الذين قدروها قدرها وعرفوا لها منزلتها

وقالت الاهرام فى عدد ٨ يناير سنة ١٩٣٦ :

دخلت مجلة « الرسالة » الغراء فى عامها الرابع وهى المجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون لصاحبها ومديرها ورئيس تحريرها الأديب المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات . وقد برز العدد الجديد فى صدر هذا العام بحلة قشيبة تدل على ازدياد العناية بها . وهو يضم مقالات طريفـة وقصائد متينة السبك لبلغاء الـكتاب وفطاحل الشعراء فى موضوعات متنوعة لا تخرج عن الخطة التى نهجتها منذ إنشائها وتنطبق على الحاجة التى تشعر بها الأمة فى موقفها الحاضر : فنهنئها ونتمنى لها اطراد التقدم

النقد

رد على نقد

٢ – كتاب تاريخ الاسلام السياسى

للدكتور حسن ابراهيم حسن

مؤلف الكتاب

ص ٣٩٨ – زعم حضرة الناقد أننا قد اتبعنا رأى نيكلسون فى أمر انتصار معاوية ، وفى أن المسلمين اعتبروه انتصارا للارستقراطية الوثنية التى ناصبت الاسلام العداء

وهذا الزعم غير صحيح ، فاننا بنينا هذا الرأى على مقدمات صحيحة رواها ثقاة المؤرخين عن جمهرة المسلمين فى القرن الأول الهجرى . وهذا على بن أبى طالب يقول فى معاوية مخاطباً أصحابه : « أنظروا إلى من يقول كذب الله ورسوله . إنما تقاتلون ابن رأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد من قتلى أحد . وإنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ممن أسلم كرها وكان للرسول حربا وكان عن الدين منحرفاً » . ربما تقول إن كلام على لا ينهض حجة فى رأى جمهور المسلمين حيال معاوية وشيعته ، وإن التنافس فى الحكم يدعو إلى أكثر من ذلك ، فان هذا القول فى معاوية لم ينفرد به علىّ ، فهؤلاء كبار الصحابة والتابعين يرددون هذا القول بل أشد منه . وهذا قيس بن سعد يقول للنعمان بن بشير « انظر يانعمان هل ترى مع معاوية إلا طليقاً أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً . وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن » ، وقول ابن عباس : « هذه الحرب بدأها علىّ بالحق وانتهى فيها إلى العذر ؛ وبدأها معاوية بالبغى ، وانتهى فيها إلى السَّرف » ، وهذا أبو حمزة الخارجى يقول فى خطبته : « معاوية لَعِين الرسول وابن لعينه ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤتلف طليق ، فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجاً ودغلا ... الخ . »

لم نذكر هذه الأقوال معتقدين بصحتها كلها فى معاوية ، إذ رأينا الشخصى أنه مسلم عظيم خدم الاسلام خدمات جليلة ، ولكنا اضطررنا إلى ذكرها لنبرهن على أن من استندوا إلى رأى نيكلسون وجدوا فى هذه الأقوال بعض المبررات لما ذهبوا اليه

ولَيْتَ الناقد راجع تلك الأقوال التى تفيض بها المصادر التاريخية ليعرف أننا نعنى بقولنا جمهور المسلمين ، فيريح نفسه ويريحنا أيضاً من هذا التعليق الطويل

ص ٣٤٠ – كان خيراً للناقد ألا يرجع إلى هذه الصفحة بعد أن تركها عمداً أو سهوا – لا أدرى – ويظهر أن شغفه بالتنقيب وتحميل اللفظ فوق ما يستحق ، واستخراج ما توهمه مؤاخذة ، هو الذى حمله على عكس الدورة ومعاودة المراجعة لهذه الصفحة بعد أن تركها فى أول مرة . ولينظر القارىء إلى ما قال عنها بعد أن أرجع البصر كرتين : إنه لم يرضه إلا أن يرمينا بالخطأ لأننا وقعنا فى أمر جسيم حيث تابعنا المصادر العربية التى تبين موقعة « ذات السوارى » زمانها ومكانها ، ويريد أن يقسرنا على متابعة المصادر اليونانية فى أن تاريخ الموقعة كان سنة ٣٤ هـ لا سنة ٣١ كما تثبته المصادر العربية ، وأن مكان الموقعة كان قريباً من ساحل آسيا الصغرى الجنوبى لا قريباً من الاسكندرية

ولحين اطلاعنا على السبب فى ولع الناقد بتفضيل المصدر اليونانى على العربى ، نقول له إن رأيك هذا فيه تحكم وترجيح بلا مرجح ؛ على أن حضرته لم يذكر لنا ولو مصدراً واحداً من هذه المصادر اليونانية لنقف منها على مبلغ صحة اعتماده وأسباب ترجيحه ، اللهم إلا كتاب العصور الوسطى لكمبردج ، وهو

عبارة عن سلسلة مقالات بالانجليزية ، كما أن حكمه علينا بأننا نتابع السير وليام ميور الذى يأخذ عن جبون هو من قبيل الرجم بالغيب ، وأن قوله : « كلا هذين المؤرخين أصبح قديماً ولا يصح التعويل عليه بصفة مطلقة » يحتاج إلى فك رموزه وأحاجيه ...

ص ٤٥٠ – يظهر أن الناقد سريع النسيان . فبينا هو يأخذنا بلاذع اللوم والتعنيف إذا روينا آراء جمهور المسلمين فى الأمويين ، نجـــده هنا لا يعجبه أن دافعنا بحق عن أحد خلفائهم بأنه لم يرد أن يحط من شأن الكعبة ، وأن رميها بالمجانيق أحدث فيها من غير قصـد ما أحدث ، وأن الحجاج لما نصب المجانيق على الكعبة جعل هذه الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً ، إذ كان الأمويون يعتبرونها بدعاً فى الدين » . وما أسرع هـذا الناقد فى سحب ثقتـه من هؤلاء المساكين ، فيقول عنهم : « وبنو أمية كانوا إذا تعارضت المصلحة السياسية مع أى اعتبار آخر رجحوا جانب المصلحة السياسية كائناً ما كان ذلك الاعتبار الآخر . وتاريخهم يشهد بذلك ! ! » ثم ما أدرى وجه الضحك من قولنا إن الحجاج جعل الزيادة التى زادها ابن الزبير فى الكعبة هدفاً لمجانيقه ، وإنه كان من الممكن الانتظار حتى تضع الحرب أوزارها ثم تنقض الكعبة وتبنى على أسسها القديمة . فالواقع يقرر ما قلناه والتقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ، وأما هذه الزيادة فقد كانت متميزة عن سائر بنية الكعبة يمكن نقضها دون هدم الكعبة ، بدليل أن الحجاج بعـد أن قتل ابن الزبير عمد إلى تلك الزيادة فأزالها وأعاد الكعبة إلى ما كانت عليـه زمن الرسول ، وليس من الصعب على العرب ، وهم مشهورون بتسديد الرماية ، أن يجعلوا الزيادة هدفهم بدون أن يلحقوا بسواها ضرراً ؛ وقد فصلنا الكلام فى ذلك فى مقالنا الأول . أما قول الناقد إن الهدف الحقيقى للمجانيق هو ابن الزبير نفسه ولما جعل الكعبة حائلاً بينه وبين المجانيق ضربت الكعبة ، فقول لم يأت الناقد فيـه بجديد عن قولنا ولا يتنافى مع ما قررناه

ص ٤٧١ – يقول علماء الأصول والتشريع إن الحكم على المجموع لا على الجميع . فاذا حكمنا على الخوارج بأنهم اشـترطوا بالحكم على مخالفيهم حتى ساووا بينهم وبين الكفار عبدة الأوثان ، فلا يضرنا أن تشذ فرقة كالاباضية عن هذا الحكم ، ولا يخفى أن هـذه الفرقة لم تشترك مع الخوارج بظفر ولا بناب فيما ألحقوا بالأمة الاسلامية ، فليست مقصودة فى كلامنا لأنها غير معتبرة من الخوارج ذوى البأس الشديد

ويصدق هذا أيضاً على ما نقلناه عن « السيد أمير على » على نظام الامارة على البلدان فى العصر الأموى ، وبعد أن كان يفرض على ولاة الأقاليم الاقامة فى حواضر ولاياتهم أصبحت الولاية فى عهد الأمويين تسند إلى بعض أفراد البيت المالك وإلى كبار رجال البلاط ، فكانوا يبقون فى دمشق ويعينون من قبلهم رجالاً يقومون بحكم الولايات نيابةً « عنهم » . وإذا رجع القارىء إلى كلامنا يلاحظ أننا نقرر ذلك نظراً لما حدث أثناء حكم هذه الدولة ، وأننا لم نجعل تطرق النقص منسحباً على العصر الأموى كله بدليل قولنا إن هناك نقصاً قد تطرق إلى النظام الادارى فى عهـد بنى أمية ، وجرّ إلى أسوأ العواقب فيما بعد ، إذ لا يخفى أن التطرق أمر عارض لم يكن موجوداً ثم وجد ، فكيف يحمل على التعميم والاستفاضة ؟ .

ص ٥٧٦ – من المحسنات البديعية أن يذكر الانسان شيئاً أجنبياً عن موضوعه لمناسبة وفائدة . فاذا كنا تكلمنا عن نظام العدول فى معرض الكلام على نظام القضاء فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين ، وقلنا إن سُنّة التقدم والارتقاء دعت إلى اتخاذ الشهود المحلفين حين فشت شهادة الزور ، فقضى النظام الجديد بتعيين شهود عدول عرفوا بحسن السمعة والفقه فصاروا من هيئة المحكمة يعمل برأيهم القاضى فيما له علاقة بالمتقاضين ، إذا ذكرنا هذا فليس معناه أننا نجهل تاريخ هذا النظام ونجهل أنه كان فى الدولة العباسية لا الأموية . والمنصف يرى أن مثل هذا الاستطراد له شواهد كثيرة من كتاب الله وكلام رسوله وكلام العرب . وقد لاحظ العلماء فيه أنه يكسب الكلام رونقاً وجدة ويذهب بالسآمة التى يشعر بها القارىء أحياناً من موضوع استطال الكلام فيه

يخيل إلينا أن الناقد أحس بتهافت ملحوظته هذه فعمد إلى ستر الموقف وتدعيم المأخذ بكلام أرسله إرسالا وكال فيه التهم

جزافا ، فأبرم حكما مقضياً بأن كلامنا لا يجلو هـذا النظام على حقيقته وفيـه تخليط كثير !! ويا للعجب ! هو لم يقبل منا أن نستطرد بذكر نظام العدول موجزين ويريدنا أن نفصل الـكلام عنه . ولا بأس أن نترك الـكلام عن موضوع الـكتاب بالمرة لنفسح له فى الميـدان ليصول ويجول ويكون لنقده حينئـذ بعض القوة !

ص ٦٢٧ — كنا نتفكه بحكاية ذلك التركى الذى كان مغرماً بأن يأمر فيجد مأمورا ، وينهى فيجد منهياً ، ولما كانت مؤهلاته لم تسعفه باشباع رغبته اقتعد غارب الطريق ووضع أمامه بعض أباريق مملوءة بالماء ، حتى إذا ما أجهد أحد المارين العطاش وأراد تناول إحداها ليشرب نهره ذلك التركى قائلا : دع هذا واشرب من ذاك ! فاذا ذهب حضرة الناقد فى غالب كلامه يلومنا بأننا نقلنا كذا عن فلان ، وكان أولى بنا أن ننقله عن سواه ، فانه — ولا شك — يذكرنا بهذه الحكاية المضحكة . ولقد رأينا حضرة الناقد يسلك هذا الطريق معنا فى أمر موقعـة ذات السوارى ونفقات المسجد الأموى

وبعد ، فمن شيم العلماء وكرام النقاد ألا يلجأوا إلى التمويه والايهام عما ينقدون ويمحصون ، وإنما عملهم هو قرن الدعوة بالدليل ، ووضع الصحيح إزاء العليل ، وبذلك يُخدم العلم ، وتشكر الحقيقة مجليها . أما إذا لجأ الناقد إلى التعميم ، وعبارات التفخيم ، واعتذر عن الادلاء بالحجج والبينات بقصر الوقت وبكثرة السيئات ، فليس معنى هذا فى نظر الناس إلا الرغبة فى الهدم ، وعدم القدرة على البناء

(يتبع) حسن ابراهيم حسن

نوادر الـكتب

الكتب

المقتطف والمتنبي

المقتطف شيخ مجلاتنا ؛ كأنمن أولادُه وأحفادُه . وهو كالجدّ الأكبر ، زمنٌ يجتمع ، وتاريخ يتراكم ، وانفرادٌ لا يُلحق ، وعلم يزيد على العلم بأنه في الذات التي تفرض إجلالها فرضاً ، ويجب لها الحرمةُ وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق فيتضاعف لها الحق

وهل الجد إلا أبوّة فيها أبوةٌ أخرى ، وهل هو إلا عرش حيّ درجاته الجيل تحت الجيل ، وهل هو إلا امتداد مسافاته العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرم ، ويتقدم في الزمن تقدم المخترعات ماضيةً بالنواميس إلى النواميس ، مقيدةً بالمبدأ إلى الغاية . فلقد أُنشيء هذا المقتطف وما في المجلات العربيــة ما يغني عنه ، ثم أسفّت الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات والممثلات . . . وبقي هو على وفائه لمبدئه العلى والسمو فيه والسمو به ، كأنما أُخذ عليه في العلم والأدب ميثاقٌ كميثاق النبيين في الدين والفضيلة ؛ فبين يديه الواجبُ لا الفرض ، وهمُّه الابداعُ بقُوى العقل لا الاحتيال بها ، وهَدْيُه الحقيقة الثابتة في الدنيا لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ، وطريقه في كل ذلك طريق الفيلسوف من هدوء نفسه لا من أحوال الدهر ، فهو ماضٍ على اليقين ، نافذ إلى الثقة ، متنقل في منزلة منزلة من يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه

وقد بدأ المقتطف مجلده الثامن والثمانين بعدد ضخم أفرده للمتنبي . ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسبُ إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف

ولست أغلو إذا قلت إن هـذه الروح المتكبرة قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الكتاب والأدباء ولزمت صديقنا المتواضع الأستاذ محمود شاكر مدة كتابته هذا البحث النفيس الذي أخرجه المقتطف في زهاء ستين ومائة صفحة تدلُّه في تفكيره ، وتوحي اليه في استنباطه ، وتنبهه في شعوره ، وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها ، ليردّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب ، ثم تمينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التي جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الحيــاة التي جاءت من نفوس أعدائها وحسادها

ولقد كان أول ما خطر لي بعد أن مضيت في قراءة هـذا العدد — أن المؤلف جاء بما يصح القول فيه إنه كَتَب تاريخ المتنبي ولم ينقله ؛ ثم لم أكد أمعن في القراءة حتى خيل إليّ أنه قد وضع لشعر المتنبي بعد تفسير الشرّاح المتقدمين والمتأخرين تفسيرا جديداً من المتنبي نفسه ؛ وما الكلمة الجديدة في تاريخ هذا الشاعر الغامض إلا الكلمة التي نشرها المقتطف اليوم

إن هذا المتنبي لا يفرغ ولا ينتهي ، فان الاعجاب بشعره لا ينتهي ولا يفرغ . وقد كان نفسا عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت . فكأنما جعلها بذلك زمنا يمتد في الزمن

وكان الرجل مطوياً على سر ألقى الغموض فيه من أول تاريخه ، وهو سر نفسه ، وسر شعره ، وسر قوته ؛ وبهذا السر كان المتنبي كالملك المغصوب الذي يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يتقي السيف بالحذر والتلفف والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل

ومن هذا السر بدأ كاتب المقتطف فجاء بحثه يتحدّر في نسق عجيب متسلسلا بالتاريخ كأنه ولادة ونموّ وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أبي الطيب عرضاً خيل إليّ أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السر الذي كان مادة التهويل في ذلك الشعر الفخم إذ كانت في واعية الرجل دولة أضخم دولة عجز عن خلقها وإيجادها فخلقها شعرا أضخم شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة متحققة في صورة من صور الامكان اللغوي

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبي سرُّ حبه ، فقال : إنه كان يحب خولة أخت الأمير سيف الدولة ، وكتب في ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة ، وكأنها لم ترضه فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل في خمسين وجهاً من المقتطف . وهـذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس من أحد في الدنيا المكتوبة (أي التاريخ) يعلم هذا السر أو يظنه . والأدلة التي جاء بها المؤلف تقف الباحث المدقق بين الاثبات والنفي ؛ ومتى لم يستطع المرء نفياً ولا إثباتاً في خبر جديد يكشفه الباحث ولم يهتد اليه غيره ، فهذا حسبك اعجاباً بذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعدّ

ولعمري لو كنت أنا في مكان المتنبي من سيف الدولة لقلت إن المؤلف قد صدق ... فهناك موضع لابد أن يبحث فيه القلب الشاعر الذي وضعت في الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرها ، وبث فيه الجمال وحيه ، وأصغر هذه الثلاث أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلها . . . . ؟

مصطفى صادق الرافعي